جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جماليات الخطاب الرّحلي في المنظومة الحجازية ليوسف الوَارَجْلاَني الجزائري (ق. ٦هـ-١٢م)

The Aesthetics Of The Travel Discourse In The Hijazi Poem By Yusuf Al-Waraglani Al-Jazaery {6 AH – 12 AD}

إعـــداد

أ.د. سميرة أنساعد

أستاذة الأدب والنقد بالمدرسة العليا للأساتذة،

الجزائر.

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثاني (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

جماليات الخطاب الرّحلي في المنظومة الحجازية ليوسف الوَارَجْلاَني الجزائري (ق. ٦هـ-١٢م)

سميرة أنساعد

أستاذ مساعد، المدرسة العليا للأساتذة ، الجزائر.

البريد الإلكتروني: *ensaad.samira@ensb.dz*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إحدى الرحلات التراثية، التي ترجع إلى فترة متقدمة من تاريخ الجزائر الإسلامية، ألفها صاحبها يوسف الوارجلاني في القرن السادس الهجري، بعد أن أنجز رحلته إلى الحجاز لغرض أداء فريضة الحج، واختار الوارجلاني أسلوبَ النظم للتعريف بهذه الرحلة، ولنقلِ ما شاهده وعاينه مدبِّجا إياها بلغة مكثفة موزونة ومقفاة. وعليه، سيتم أولا التعريف بالرحال وبرحلته، والتعرض إلى أهم أحداث الرحلة ومراحلها، ثم الوقوف على خصائص الافتتاحية، واستراتيجية الناظم في خطاب المتلقي وتنبيهه، لنصل في الأخير إلى تبيان قيمة الرحلة العلمية، وجماليات الأسلوب فيها.

الكلمات المفتاحية: أدب، الرحلات المنظومة، العصر الوسيط، الجزائر، مصر، الحجاز، التاريخ والجغرافيا، الأسلوب والخطاب.

The Aesthetics Of The Travel Discourse In The Hijazi Poem By Yusuf Al-Waraglani Al-Jazaery

(6 Ah – 12 Ad)

Samira Ensaad

Professor of Literature and Criticism at the Higher Normal School , Algeria.

Email: *ensaad.samira@ensb.dz*

Abstract:

This study aims to shed light on one of the heritage journeys that dates back to an early period of Islamic Algerian history. It was authored by its writer, Yusuf al-Warajlani, in the 6th century AH, after completing his journey to the Hijaz for the purpose of performing the Hajj pilgrimage. Al-Warjlani chose the poetic style to describe this journey, conveying what he witnessed and experienced in a compact, rhythmic, and rhymed language.Thus, the study will first introduce the arabic travelogues, and the traveler and his journey, addressing the most significant events and stages of the journey, and its scientific value, It will then examine the features of the opening, the strategy of the poet in addressing and alerting the reader, and finally highlight the aesthetics of the journey style.

Keywords: ***Travel Literature , Poetic Journeys , Medieval Era , Algeria , Egypt , Hijaz , History And Geography , Style And Discourse.***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وأفضل من أوتي فصل الخطاب وجوامع الكلم، سيدنا محمد بن عبد الله صاحب المقام المحمود والحوض المورود والجاه الأعظم.

مقدمة

تزخر المكتبة العربية بعدد كبير من المصنفات التي تندرج تحت فن الرحلة، وهو فن عريق ارتبط في بدايات تأليفه بالفتوحات الإسلامية للبلدان ابتداء من القرون الهجرية الأولى، وعرف تطورا على مر الزمن في الشكل والمضمون، كما شهد تغييرات في وجهات السفر، ووسائله، وأغراضه من جهة، وفي مادة النص الرحلي، وتوجهاته العلمية والفنية من جهة أخرى.

وإن كان فن الرحلة يغلب عليه طابع الكتابة النثرية، فقد اختار بعض الرحالين نقل مشاهداتهم وتسجيل أخبار رحلاتهم ضمن قالب النظم الشعري الخاضع للوزن والقافية، ولخصوصيات الشعر الأسلوبية، وهذا النوع من الرحلات على الرغم من قلته في الأدب العربي، إلا أنه لا يقل أهمية عن الرحلات النثرية، إذ تضطلع قصائد الرحلة بالعديد من الفوائد التاريخية والجغرافية، مما يجعلها مصادر موثوقة وحية داعمة للبحث في هذين المجالين، كما تتضمن كل منظومة رحلية ظواهر فنية شتى، ولغة تعبيرية تشف عن أحاسيس ناظمها، وتعبر عن أفكاره وانطباعاته حيال الإنسان والمكان، مما تستدعي العناية والدرس من قبل نقاد الأدب العربي.

ومن أجل ذلك، آثرت تناول إحدى المنظومات الحجية في العصر الوسيط بالجزائر، دوّنها العلامة أبو يوسف بن إبراهيم الوارَجْلاني حوالي عام ٥٧٠هـ، فكانت من بدايات النظم في الرحلة إلى الحجاز بالبلاد، تبعتها رحلات منظومة أخرى عبر التاريخ الأدبي للبلاد.

وتثير دراسة منظومة الوارجلاني العديد من التساؤلات أهمها:

- ما هي أهداف النظم، واستراتيجيات الناظم في نقل أحداث رحلاته لمواطنيه؟

- هل استطاع الناظم أن يكون واضحا ودقيقا في تصوير جو الرحلة العام، ومسار التنقل بين البلدان؟

- ما هي الفوائد التاريخية والجغرافية التي تمنحها الرحلة للقارئ.

- كيف كانت تمفصلات الرحلة السردية وهل وافق مستوى النظم الرحلي (التأليف) مستوى الفعل الرحلي؟

- هل تقدّم صورة عن الاستراتيجيات المطبقة لجذب القارئ، ومحاورته، ثم إقناعه والتأثير فيه؟

- هل تحقق الرحلة جمالية في خطابها، ومضامينها، ولغتها.

وللإجابة عن هذه التساؤلات تم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وخمسة مباحث، فضم التمهيد تطور فن الرحلة في الأدب العربي عموما، والرحلة المنظومة في الجزائر خصوصا، ثم التعريف بالرحال الناظم ورحلته، أما المبحث الأول فتم التعرض فيه إلى أحداث الرحلة ومراحلها، واختص المبحث الثاني بالفوائد العلمية للرحلة، وتناول المبحث الثالث خصائص الافتتاحية وخطاب المتلقي في منظومة الوارجلاني، واستراتيجياته في التنبيه للقارئ، ليلتفت المبحث الرابع والأخير لعرض أبرز القيم الفنية للرحلة، وجماليات اللغة والأسلوب.

وجرى الاعتماد في هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي في محاولة الإحاطة بالظواهر العلمية والفنية للرحلة المنظومة، وتحليل تلك الظواهر تحليلا تاريخيا، أو أدبيا، كما تم الاستناد إلى بعض إجراءات تحليل الخطاب السردي، والتحليل التداولي مما يسمح بالكشف عن أهداف الناظم، واستراتيجيات خطابه، دون

إثقال البحث بالمصطلحات النقدية المرتبطة بالمنهجين، أو فرض المنهجين على النص الرحلي المنظوم الذي يختص بفردانيته، وحربائيته.

واستفاد البحث من بعض المراجع العامة والخاصة في توثيق الأعلام، والأماكن، والأحداث التاريخية، مع التنبيه على قلة الدراسات النقدية الأدبية حول المنظومات الرحلية الجزائرية، ومنها منظومة الوارجلاني، وتركيز المتوفر منها على بعض قيم المنظومات العلمية، ويمكن الإشارة إلى بعض المراجع السابقة التي تتصل بموضوع البحث، مثل كتاب الدرجيني، "طبقات المشائخ بالمغرب"، وهو أشهر من ترجم للشيخ الوارجلاني، وكتاب البكري، "المسالك والممالك"، إذ استفاد منه البحث في التعريف بمواضع مذكورة في الرحلة، وكتب الباحث يحيى بن بهون بن الحاج أحمد الذي حقق ودرس المنظومات الحجية الثلاثة لأعلام الإباضية: الوارجلاني، والمصعبي، والشيخ أطفيش، ومقال عبد الصمد عبد القادر، "رحلات الحج عبر فزان والطرق التي سلكتها في القرن السادس والحادي عشر الهجريين (١٢- ١٧م)"، الذي تناول رحلة الوارجلاني، وأهم محطات رحلته في ليبيا، إضافة إلى معاجم بلدان أخرى، وفهارس عامة داعمة لتوثيق أعلام وأعمال واردة في الرحلة.

تمهيد

فن الرحلة مفهومه وأبرز أعلامه

يعد فن الرحلة من الفنون العريقة في الأدب العربي، والغربي معا، وقد ارتبط بفعل إنساني ضروري وهو الحركة والتنقل من مكان لآخر تبعا لحاجات المعيشة، وطلب العلم، والاتصال بالآخر، ونشر الدين، والفكر، ونشاط الدبلوماسية، والسياحة والتجوال في البلدان، وبتعدد هذه الأغراض البشرية للرحلة، تعددت أنواع الرحلة المكتوبة، وتنوعت تبعا لهدف الرحال، ولانتمائه الديني والسياسي، ولإمكانياته التأليفية والإبداعية، وقد تزايدت حركة الرحلة مع بداية توسع الدولة الإسلامية الفتية في القرن الأول الهجري، لنشر الإسلام في أقطار الأرض من قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا، وقد حقق هذه التوسعات جند من الصحابة والتابعين الشجعان، الذين وجدوا في البلدان الجديدة المفتتحة الغرائب والعجائب والبدائع التي لم يعهدوها قط في الجزيرة العربية، وقد عبّد الفاتحون الطرق للرحالين من العلماء والتجار، والمغامرين والمستكشفين والحجاج الذين جابوا الآفاق، وعبروا البحار والوديان، ومشوا في السهول والجبال والفيافي، تحثهم رغبة طلب العلم، أو الربح، أو الاكتشاف، أو أداء فريضة الحج.

ومنذ القرن الثالث للهجرة بدأت نخبة من هؤلاء الرحالين بتدوين أخبار رحلاتهم، وتسجيل كل ما شاهدوه في البلدان، ومن عرفوه من الأقوام، فترسبت على مر العصور مؤلفات ثمينة زاخرة، انتمت إلى ما يعرف بالأدب الجغرافي، الذي غدا من مصادر التأريخ للبلدان والشعوب، والمعرفة الجغرافية عنها، ومن أهم الجغرافيين والبلدانيين المسلمين نذكر أبا القاسم بن خرداذبه (ت. بعد ٢٧٢هـ) مؤلف كتاب

"المسالك والممالك"[١]، وأحمد اليعقوبي (ت. ٢٨٤هـ) صاحب "البلدان"[٢]، ومحمد بن حوقل (ق.٤هـ) كاتب "صورة الأرض"[٣]، وأبا عبيد البكري (ت.٤٨٧هـ) مؤلف كتاب "المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"[٤]،... وغيرهم من الجغرافيين.

وعَرَف فن الرحلة بعد هذه المدونات الجغرافية، وكتب البلدان والمسالك كتبا أخرى اتخذت طابعا أدبيا، يعطي شخصية الرحال، وتجاربه النفسية، وتأملاته الفكرية أولوية قصوى، ويقلل من وجود الخبر العلمي، والمعرفة المتخصصة، وقد أسهم في هذا النوع من الرحلات العديد من الرحالين المتأخرين، كان أكثرهم من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، الذين سافروا إلى المشرق لطلب العلم وأداء فريضة الحج، ونذكر من بينهم: أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي(ت. ٥٤٣هـ) صاحب أولى الرحلات المدونة في الأندلس، المعنونة بـ"ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"[٥]، وابن جبير الأندلسي(ت. ٦١٤هـ) المشهور برحلته "رحلة ابن جبير"، أو "تذكرةٌ بالأخبار

---

(١) أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبه الخراساني، المسالك والممالك، مع كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، تح. م. دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩، ٣٥٢ ص.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن الواضح الكاتب، كتاب البلدان، مراجعة ونشر تيودور جوينبول، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٦٠، ١٥١ص.

(٣) أبو القاسم بن حوقل النصيبي البغدادي، صورة الأرض، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ٤٣٢ص.

(٤) أبو عبيد البكري، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح. دي سلان، مطبعة أدولف جوردان، الجزائر، ١٩١١، ٢١٢ص.

(٥) أبو بكر بن العربي، مختصر ترتيب الرحلة، تح. سعيد أعراب، دار الغرب، بيروت، لبنان، ط. ١، ١٩٨٧، ٢٤٨ص.

عن اتفاقات الأسفار"[١]، وابن بطوطة المغربي(ت. ٧٧٩هـ) المؤلف الذي ذاع صيته في أدب الرحلات بمؤلفه الضخم "تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"[٢]، ومحمد بن بكر القريشي التلمساني المشهور بالمقري الجد(ت. ٧٨٤هـ) صاحب "رحلة المتبتل"[٣]، ... وغيرهم كثير ممن اهتم بالتأليف النثري حتى العصر الحديث، وهو الذي شهد تزايدًا للرحلات، بفعل ظهور الصحافة العربية وتطورها؛ فأصبحت الرحلات قريبة من التحقيق الصحفي حول السفر، مع بقاء الأنواع الأخرى من الرحلات التي ضُمّنت في كتب السيرة، والتراجم، والمذكرات، والرسائل الإخوانية والرّسمية، وفي كتب مستقلة.[٤]

أما الرِّحلات المنظومة فقد كانت أقل من الرحلات النثرية، وقد عرفت ندرة في الشعر العربي القديم؛ إذ لم يطرق الشعراء القدامى موضوع الرحلة الواقعية في قصائد مطولة إلى غاية العصر العباسي مع الشعراء والعلماء أمثال أبي نواس، وابن

(١) ابن جبير بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، تقديم جان دي خويه، مطبعة بريل، ١٩٠٧، ٤١٦ص.

(٢) محمد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، مصر، ١٩٠٤، ٢٦٠ص.

(٣) نص الرحلة ضائع، غير أن حفيده أحمد المقري صاحب نفح الطيب أوجزها وعرّف بمجرياتها، إضافة إلى فهارس وكتب أعلام كثيرة أشارت إلى رحلته في أقطار المشرق والمغرب في القرن الثامن الهجري.

(٤) من بين رحلات العصر الحديث: رحلة عبد الغني النابلسي الحجازية، ورحلة محمد عمر التونسي إلى أوروبا "تشحيذ الأذهان"، ومثلها رحلة الطهطاوي "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، ورحلة أحمد فارس الشدياق "الواسطة في أخبار مالطة"، والرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني الحجازية، ... وغيرها كثير مما يعذر حصرها في هذا البحث.

الرومي، وابن دريد اللغوي، وابن قيّم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، وابن رشيد البغدادي.[١]

وفي الجزائر خلّف بعض أعلامها من الأدباء والفقهاء والمؤرخين منظومات مطولة حول السفر إلى وجهات مختلفة في المغرب والمشرق عموما، والرحلة إلى الحجاز، وأداء مناسك الحج والعمرة خصوصا، مثل منظومة الوارجلاني –موضوع هذه الدراسة–، وقصيدة "الشوق" للشيخ الحاج بلقاسم القوراري (ت. ٩٩٥هـ-١٥٨٨م)[٢]، ورحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخرّوب المجاجي الذي أنجزها عام ١٠٦٣هـ- ١٦٥٢م[٣]، ورحلة "همزية العامري" لمحمد بن الحاج بن منصور

(١) ينظر: أحمد بن حامد الغامدي، الصور الشعرية للحج.. وشح البدايات، "مقال"، مدونة الخيميائي الإلكترونية، تم الاطلاع عليها بتاريخ: ١٠/٠٩/ ٢٠٢٤.
https://alchemist71.blogspot.com/2018/08/blog-post_31.html?m=1

(٢) هو أبو القاسم بن الحسين القوراري، ولد ببلدة أوسيف عام ٩٢٥هـ بالجنوب الغربي للجزائر، درس فيها على يد والده الحسين، وارتحل إلى فاس طلبا للعلم، ثم عاد على قريته لقيادة حركة علمية أحدثت ثورة بالمنطقة، خلف الشيخ آثارا جليلة وأدعية وقصائد في التوحيد ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، واشتهر برحلته المنظومة من قورارة إلى أرض الحرمين الشريفين، توفي عام ٩٩٧هـ ودفن بزاويته قرب مدينة تيميمون في الجنوب الجزائري.
ينظر: محمد الفاطمي، الرحلة الحجية القورارية من خلال أنموذج قصيدة الشوق (مجهولة المؤلف)، "مقال"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، مج. ٠٦، ع. ٠٣، ١٢/ ٢٠٢٠، ص. ٩٥.

(٣) عبد الرحمان بم محمد بن الخروب المجّاجي، رحلة، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم١٥٦٤و١٥٦٥، وقد حققت الرحلة ضمن عمل أكاديمي لنيل شهادة الماجستير، من قبل الطالبة: حميدة زعيتر، تحت إشراف: الشريف مريبعي، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩، مخطوط.

العامري التلمساني(ت. ١١٧٠هـ- ١٧٥٦م)[١]، و"رحلة المصعبي"[٢]، إحدى المنظومات الحجية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ومنظومة الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش (ت. ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م)[٣]، ويظل الوارجلاني أشهر ناظمي الرحلة في الجزائر قديما وحديثا، لما تزخر به قصيدته من فوائد، وما تتضمنه من فرائد الأخبار والسرود، ولذلك من الواجب قبل الشروع في دراسة المنظومة التعريف بالرحال وبرحلته.

-الشيخ الوارجلاني ورحلته المنظومة:

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارَجلاني السّدراتي[٤] المولود سنة خمسمائة للهجرة (٥٠٠هـ- ١١٠٦م)، ولد بقرية سدراتة إحدى قرى وارَجْلانْ وهي مدينة واقعة في الجنوب الشرقي للجزائر، وتبعد عن العاصمة بحوالي ٨٠٠كلم، كانت كثيرة الواحات، ومحط راحة القوافل التجارية، وحلقة وصل بين المدن الإسلامية في شمال إفريقيا وبلاد السود في جنوب القارة، فازدهرت فيها تجارة الملح والذهب، سكنتها قبائل كثيرة من الأمازيغ والعرب ومن أهمها قبيلة بني واركلا الزناتية، وقبيلة سدراتة،

---

(١) وهي منظومة سميت بالهمزية نسبة لرويها الذي هو الهمزة، من ٣٣٥ بيتا أتمّها سنة ١١٥٢هـ، توجد نسخة منها في المكتبة الأحمدية بفاس، ونسخة في المكتبة الصبيحية بسلا، ونسختان في مكتبة محمد المنوني، ونقل المنوني الرحلة المنظومة في كتابه: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص- ص. ٨٨-١٠٤.

(٢) وهي رحلة لإبراهيم بن بحمان المصعبي ١٢٣٢هـ- ١٨١٧م، رحلة المصعبي، تح. يحيى بن بهون، سلسلة من الرحلات الحجازية لعلماء المغرب٢، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧، ١٢٢ص.

(٣) امحمد بن يوسف أطفيش، رحلة القطب، تح. يحيى بن بهون حاج امحمد، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٧.

(٤) نسبة لقبيلة سدراتة أو سدراتن البربرية من بطون لواتة وفق ما ذهب إليه المؤرخ ابن خلدون.

وقبيلة تَنَاوته، عرفت بعدة تسميات منها: (واركلة، واركلا، وارجلان، وارجلن، وارقلة) وهي تسمى حديثا ورقلة.

وقد أثنى الدرجيني صاحب كتاب طبقات المشائخ على تفاني الرحال في البحث والتعلم بقوله: "أقام سبعة أعوام ملازما داره لا ينصرف، فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إما ينسخ وإما يدرس وإما يقابل، وإما يبرئ الأقلام، وإما يطبخ الحبر، وإما يسفر كتابا، لا يعدل عن هذا الفن إلى ما سواه إلا إن قام إلى فريضة، وكان إذا اعتمد تأليفا أو نسخَ ديوانٍ لا يهوله ولا يستعظم فيه صعوبة ولا كثرة فإن له على ذلك قدرة."(١)

اشتهر في قريته بسعة علمه بعد تلقي علوم عصره على أيدي شيوخ المنطقة، فبرع في التأليف فيها، فكانت له –كما وصفه الدرجيني–: "يد في علم القرآن، وفي علم اللسان، وفي الحديث والأخبار، وفي رواية السير والآثار، وعلم النظر والكلام، والعلوم الشرعية عباداتها والأحكام، وعلم فرائض المواريث، ومعرفة رجال الأحاديث، ولم يخل من اطلاع على علوم الأقدمين، بل حصل مع ملازمة السنة قطعة من علم الحكماء المنجمين."(٢)

وكان لأبي يعقوب الوارجلاني رحلات لغرض طلب العلم، والتجارة، فيمم وجهه في الأولى نحو الأندلس، التي بقي فيها مقيما مدة خمس سنوات ملازما لعلماء البلاد مستفيدا من علمهم، وغادر موطنه مرة ثانية متجها نحو الجنوب للاتجار في البلاد السودانية، وأما رحلته الثالثة فكانت في اتجاه البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج،

---

(١) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح. إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط.١، ١٩٧٠، ج.٢، ص. ٤٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٤٩١.

وهي التي نظم حولها قصيدته التي فاقت الثلاثمائة بيت افتتحها بقوله: (بحر الطويل)

عـذِيرِي عَـذِيرِي مِـنْ ذَوَاتِ المعَـاجِرِ ذَوَاتِ العُيُـــونِ النُّجْـــلِ بِـــيضِ

واختتمها منشدا:

هُــوَ اللهُ ربُّ الخلــق لا ربَّ غيــرُه هــو الحــيُّ ذو الآلاءِ أشــكَرُ شــاكرِ

أعُــدّ سُــراها ثلــثَ ألــفٍ مُنيّــرِ ثــلاثُ مَــائِينَ أو تزيــدُ كمــا يُــرِ[٢]

توفي الوارجلاني بعد سنة ٥٧١هـ- ١١٧٥م وهي سنة عودته من الحج، تاركا وراءه مؤلفات كثيرة منها ما طبع، ومنها ما يزال مفقودا، ومن أشهر كتبه "الدليل والبرهان لأهل العقول"[٣]، و"العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف"[٤]، وله رسائل، وأجوبة فقهية، وقصائد شعرية ضائعة، ورحلته الحجازية المعنية بالدراسة.[٥]

وقد استطاع الوارجلاني الإحاطة بأبرز مراحل سفره الحجازي انطلاقا من قريته وارجلان، وأوجز في العديد من المراحل، لكنه لم يعيّن تاريخ بداية الرحلة ولا نهايتها، وترجح كتب الأعلام بأنه أنجز الرحلة بعد رحلتيه إلى الأندلس والسودان، ويشير

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني، رحلة الورجلاني، تح. يحيى بن بهون، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٧، ص. ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص، ٧٨.

(٣) طبع عدة مرات، منها طبعة وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، عام ٢٠٠٦ في ثلاثة أجزاء، ص ٥٦٦.

(٤) تم طبعه دون تحقيق في سلطنة عمان، من وزارة التراث القومي والثقافة، عام ١٩٨٤، ص ٣٧٥.

(٥) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الوارجلاني، ص. ٢٠، ٢١، ٢٢.

الوارجلاني في قصيدته إلى كبر سنه وشيب شعره، حيث يعرف زمن الرحلة من أحداثها والذي قدر بسبعين سنة بعد ميلاده وفي أواخر حياة الرحال؛ إذ قال:

عَلَى أَنَنِي قَدْ قُلْتُهَا مِنْ قَصِيدَةٍ ... وَقَلْبِي مَشْغُولٌ وَهَمِّي وَخَاطِرِ

بِحِلٍّ وَتِرْحَالٍ وَطُولِ مَشَقَّةٍ ... وَشُقَةِ بُعدي عَنْ بَنِيَّ الأَصَاغِرِ

وَتِذْكَارِ أَهْلِي طَالَ نَأْيِي عَنْهُمُ ... وَأَرْحَامِ قُرْبِى مِنْ أَهَالِي الأَوَاصِرِ

وإخوانِ صدقٍ في الملمّات كلِّها ... هم ناصري في الأمر يوم التناصُرِ

وَفَقْرِي وَوَقْرِي وَانْتِكَاسِي وَشَيْبَتِي ... وَتَوْدِيعِ أَيَّامِ الصِبَى وَالخَوَافِرِ[1]

(١) المصدر نفسه، رحلة الورجلاني، ص. ٧٤.

المبحث الأول

أحداث الرحلة الوارجلانية ومراحلها[١]

يشير الوارجلاني بعد افتتاحية غزلية وذكرِ المرافقين من أفراد الركب، إلى غرض الرحلة ويبين مقصدها وهو بلاد الحرمين مكة والمدينة، لأنه سابقا اكتفى في بداية القصيدة بذكر الوجهة بأنها شرقية فقال:

لدى الكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ وُجُوهُهُمْ عَلَى قُلْصِ خُوصِ العُيُونِ ضَوَامِرِ[٢]

وكعادة كتاب الرحلة تجاوز الوارجلاني المراحل الأولى من سفره، في بلاده الجزائر؛ لأن القراء الجزائريين الذين يكتب لهم الرحال ليسوا بحاجة للتعريف بتلك المراحل، فهي معروفة لديهم، واقتصر على الإشارة إلى الطبيعة الصحراوية للطريق، وإلى خطورتها، ولهذا ذكر بعد وارجلان موضع عين صولية التابعة لقبيلة بني وليد، ومنها مشى الركب بجانب وادي الآجال[٣] بمنطقة فزان، الذي سماه الشاعر ببحرين لأن به بحيرات ماؤها مالح يحيط بها رمال، ومنها إلى وادي الجن في غات[٤]، ثم

---

(١) لمزيد من التفصيل في مسار الرحلة، ينظر: مقالي الخاص المنشور في مجلة العربي الكويتية: ع. ٧٦٤، ٠٧/ ٢٠٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٤٣.

(٣) وادي الآجال يضم عددا من الواحات والقرى شرقا وغربا، تمتد على مسافة ١٤٠ كم، ويسمى بهذا الاسم نسبة لوجود البقر الوحشي المسمى لغة بالأجل، وجمعه الآجال. ويسمى حاليا بوادي الحياة. ينظر: عبد القادر عبد الصمد، رحلات الحج عبر فزان والطرق التي سلكتها في القرن السادس والحادي عشر الهجريين (١٢- ١٧م)، "مقال"، مجلة جامعة سبها، ليبيا، مج. ١٣، ع. ١، ٢٠١٤، ص. ٧٩.

(٤) أشار الشاعر إلى المكان بالظاهرة المشهورة فيه وهي سماع أصوات مخيفة ترجعها الأهالي إلى الجن، وفسرها بعض العلماء بصوت الريح الصادر عن الكهف، وعن النتوءات الموجودة في الجبل.

تْمِسَانْ، وتليها طريق صحراوية قاسية خالية من الآبار عدا بئر الزعفران، لكن ما تلبث الأمور تتحسن في موضع جوغراف[١]، ثم مدينة جِرْمَة القصبة المشهورة في فزان[٢]، ومنها إلى تِبِسْتُو وهي المسماة في وقتنا مدينة الأبيض[٣]، وتليها مدن متصلة ببعضها البعض هي: سبها[٤]، وسهنا[٥]، وفاطر[٦]، وبلدة الفقهاء[٧] المعروفة

(١) أخبر الوارجلاني بأن طيور الزرازر (ج. زرزور) تأتي جوغراف من كل مكان، دلالة على وجود أشجار مثمرة كالزيتون، والأرجح أن تكون أشجار البطوم التي قدسها، وزرعها أهل الطوارق والأمازيغ أينما حلوا.، وجوغراف آبار مياه تقع شرق وارجلان في الجزائر، ويعدّ الموضع عند بعض الإباضين مكانا خاصا إذ يقول المؤرخ أبو زكريا يحيى في كتاب السيرة وأخبار الأئمة: "لا يبقى مسلم في آخر الزمان إلا في جوغراف... موضع في حمر الرمال ذو مياه كثيرة." ومنهم من عد جوغراف هي وارجلان. ينظر: أبو زكرياء الورجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تح. أيوب عبد الرحمن، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥، ج. ٢، ص. ٣٧٧.

(٢) جرمة مدينة تبعد عن سبها بـ٧٠ كم، كانت عاصمة فزان (ليبيا) في العهد الروماني، وقد فتحها الصحابي الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه عام ٤٩هـ.

(٣) تبعد مدينة الأبيض أو تبستو، وهي في منطقة وادي الحياة، والأبيض منطقة المنتصف ما بين سبها وأوباري تبعد عن سبْها بـ ١٠٠كلم.

(٤) مدينة بارزة تبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط بـ٦٠٠كلم، وهي مدينة كبيرة كانت عاصمة بلاد فزان، ومنها تبدأ الصحراء الكبرى.

(٥) سمنو واحة تبعد عن سبها بـ ٦٠كلم، وعن الزيغن بـ ١٠كلم، وعن تمنهنت ٣٠كلم، والواحات الثلاث تشكل ما يعرف بوادي البوانيس.

(٦) وهي حاليا الزيغن آخر المعمور بوادي الآجال، تبعد عن سبها ٦٠كم، ينظر: عبد الصمد، عبد الصمد عبد القادر، رحلات الحج عبر فزان والطرق التي سلكتها بي القرن السادس والحادي عشر الهجريين (١٢- ١٧م).

(٧) بلدة الفقهاء (مستيح) هي بلدة صغيرة داخل سلسلة جبال طنطة (الهاروج) تعرف اليوم باسم الفقها تقع على بعد ٦٠٠كلم إلى الجنوب الشرقي لطرابلس.

باسم منزل العباد، ومن هذه البلدة تظهر جبال الهروج[١] بعد بئر "أبا نائم"[٢]، ثم قصر زلة[٣]، ومنها إلى واحات جالو[٤]، والأزرُقية[٥]، التي تعد نقطة بارزة في طريق الحج، وملتقى طرق قوافل السودان مع طريقي الحج الأوسط والجنوبي، وكان آخر موضع في البلاد الليبية بئر زيدان[٦]، ومنه يدخل المسافر أراضي مصر، وهي المرحلة الثانية من مراحل السفر إلى الحجاز.

ونلاحظ من خلال سرد هذه المراحل تنويع الكاتب ما بين تعدادها، ووصف مشاهداته فيها؛ مركزا أحيانا في الوصف على أبرز ما يميز المكان، أو مقتصرا على تعيين اسم الموضع فقط، وكذلك حاله مع الشخصيات الملاقاة في الرحلة؛ إذ توقف في مرات للترجمة للشخصية، واكتفى في مرات أخرى بتعيينها بالاسم فحسب. ومثاله قوله:

لبَحْرَيْنِ بَحْرٍ مَالِحٍ وَسْطَ رَمْلَةٍ وَرَمْلٍ كَأَمْثَالِ البِحَارِ الزَّوَاخِرِ

(١) هي أكبر تجمع للجبال البركانية في شمال إفريقيا.

(٢) وهو بئر ماؤه مالح، به رائحة الكبريت، يبعد عن زلة بـ ١٤٠كم.

(٣) وهو قلعة في مرتفع خصيب وسط المدينة، وواحة في برقة الليبية، تقع غرب بحر الرمال العظيم، وتبعد عن خليج سرت من الجنوب الشرقي حوالي ٢٥٠كم.

(٤) جالو من أهم واحات برقة، تبعد عن البحر الأبيض المتوسط حوالي ٢٤٠كم، مشهورة بغزارة إنتاجها من البلح.

(٥) جاء اسمها كذا في الرحلة، والصواب أرزاقية، وقد يكون خطأ الناسخ، أو المحقق، وهي أوجلة اليوم، تقع جنوب برقة، وتبعد عن أجدابية ٢٢٠كم.

(٦) سميت كذلك نسبة لزيدان بن حميد بن زيدان بن إبراهيم، الذي يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. ينظر عبد الصمد، عبد القادر عبد القادر، مرجع سابق، ص. ٨٢.

وتعـزف فِيــهِ الجِـنُّ فَـوْقَ رُؤُوسِـنَا كَمَـا عَزَفَتْ بِيضُ الدُّمَى بِالْمَزَامِرِ[١]

إلى أن يقول:

جــزَى اللهُ عَنَّــا جِرْمَــةَ وَبِلاَدَهَــا وَفَــزَانَ خَيْــرًا شَــاكِرًا غَيْــرَ كَــافِرِ

هُـمُ أَوْسَـعُونَا مَـا اسْـتَطَاعُوا بِخَيْـرِهِمْ وَعَافِيــةٍ جَلَّــتْ وَمِــنْ تمْــرٍ تَــامِرِ

وَكَانَــتْ تِبِسْــتُو مَنْــزِلاً نَزَلْــتُ بِــهِ وَرَاحَتْ إِلَى سَبْهَا وَسَهْنَا وَمَاطِرِ[٢]

ويستمر الوارجلاني في تعداد المدن والقرى والآبار في مصر، بداية بسنترية (سيوة)[٣]، وقرية المطية[٤] بها بئر يعرف باسمها، وبركة الجب (بركة الحاج)[٥]، وصولا إلى القاهرة، وكانت هذه المراحل سهلة، نَعِمَ فيها الحجاج بضيافة أهلها،

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الوارجلاني، ص. ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص- ص. ٤٥- ٤٦.

(٣) كانت المدينة سيوة قديما عبارة عن واحات، سماها البطالمة اسم سنترية وهو تحريف لاسم سخيت آم، الذي أطلقه الفراعنة عليها ويعني أرض النخيل. ينظر: هناء كمال، واحة سيوة أرض النخيل والزيتون والعيون الكبريتية وملكة السياحة العلاجية، مجلة إيجيبشين جيوغرافيك. *https://egyptiangeographic.com*

ووصفها الإدريسي بأنها مدينة صغيرة، وبها منبر وقوم من البربر وأخلاط من العرب المتحضرة، وهي على أول الصحراء ومنها إلى البحر الشامي في جهة الشمال تسع مراحل، وشرب أهلها من آبار وعيون قليلة وبها نخل كثير. ينظر: أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج. ١، ج. ٤، ص. ١٢٣.

(٤) قرية بمصر لها بئر يقال أن المسيح عليه السلام اغتسل منها، ينظر: تعليق محقق الرحلة الوارجلانية، ص. ٤٨.

(٥) بركة الجب، وهو ملتقى الحجاج، ولهذا سميت البركة ببركة الحاج، واسمها الأصلي جب عُميرة، وهي في ضواحي القاهرة.

واستراحوا فيها، وتزودوا بالمياه، والطعام استعدادا لمرحلة تالية صعبة، شبيهة بمفازة برقة الصحراوية، وسجّل الوارجلاني كرم السكان في تلك المواطن المصرية، ومنهم: علي وعباس وكافور الزمام، الذي جهّز الرحال ومن معه بما يحتاجونه في الرحلة إلى الحجاز، قال في ذلك:

فَلَبَّـوا وَقَـالُوا مَرْحَبًـا بِكُـمْ فَجَادُوا كَوَسْمِيّ السَّحَابِ البَوَاكِرِ[١]

وينطلق الركب بعد بركة الحاج في السير عبر مراحل خطيرة صعبة مقفرة كما في مرحلة الصحراء المتوسطة، وقرب شاطئ بحر القلزم (البحر الأحمر)، وفي عيون موسى(التيه)، وطور سيناء، وأيلة التي كان يخشاها الحجاج لتربص الفرنجة بهم، مما جعل الوارجلاني يلتفت بخطابه الشعري من المدح والشكر، إلى التعبير عن الخوف، والشكوى لله تعالى على ضيق الحال، كما لم يتوان في إبداء السخط والذم للرجال القائمين على نقل الحجاج في بحر القلزم (البحر الأحمر)، الذين أساؤوا إلى الحجاج بسرقتهم لمتاعهم، وأموالهم، فقال داعيا عليهم:

وَبَحْرِيَّـةُ لَا قَـدَّسَ اللهُ جَمْعَهُـمْ وَعَايَـدَها مثْـلَ القُـرُودِ الأَبَـاتِرِ

لَقَيْنَـاهُمُ سُـودَ الوُجُـوهِ أَذِلَّـةً عُـرَاةً مِـنَ الإِسْـلاَمِ أَفْجَـرَ فَـاجِرِ[٢]

غير أن هذه المرحلة الصعبة أعقبتها أخرى استرجع فيها ركب الحجاج الأمل والفرحة بعد تجاوزه جبال حِسْمَى[٣]، ووصوله مورد المياه المعروف بماء مدين أو

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٥٠.

(٣) وهي جبال شاهقة في صحراء حسمى واقعة في شمال غرب الحجاز (السعودية) وتقع الجبال في غرب تبوك.

بمغارة شعيب[١]، ثم وادي الدوم، ويستبشر الحجاج الخير في هذه الأماكن وما بعدها كقرية عينونة المشهورة بعيون القصب[٢]، والتبك أو ما يسمى بالمويلح[٣]، والحوراء[٤]، والينبوع (الينبع)[٥]، ودليله قوله:

وَعَيْنُونَةٍ والتَّبْكَ بَعْدَ عُوَيْنَةٍ وَأَكْرِمْ بِفَيْضِ مَشْرَبٍ فِي الغَرَائِرِ

وَفِي بَلْدَةِ الحَوْرَاءِ طَابَ لَنَا الكَرَا أَمِنَّا وَفَارَقْنَا بِهَا كُلَّ كَافِرِ

وَأَوْدِيَةِ اليُنْبُوعِ أَزْهَتْ وَأَخْصَبَتْ عَلَى كُلِّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةَ غَائِرِ

---

(١) يسمى المكان بمغارة شعيب لأنه عليه السلام كان يأوي إلى كهف في المدينة، ويسمى أيضا مدائن مدين، يقع الموضع على البحر الأحمر، في منطقة تبوك، ويسمى: "بئر مدين لأن فيه مغاير شعيب عليه السلام، وعلى مائها سقى موسى عليه السلام غنم بنات شعيب" والمكان الآن عبارة عن منطقة أثرية تحيل إلى حضارة النبط أو حضارة مدين. ينظر: محمد كبريت، رحلة الشتاء والصيف، تح. محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط. ٢، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦، ص. ٦٧.

(٢) تسمى عين أونة كذلك، وهي واحة تقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية على شاطئ البحر الأحمر.

(٣) وهو خطأ من الناسخ أو المحقق، والصحيح هو النبك.

(٤) الحوراء ساحل بحر القلزم (الأحمر) في أربع مراحل وماؤه يشبه ماء البحر لا يكاد يشرب. ينظر: محمد كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ص. ٦٧.

(٥) ينبع النخل من قرى محافظة ينبع بالمدينة المنورة، هي واد على ضفافه قرى، يمتد من ساحل البحر الأحمر غربا حتى مسافة ٥٠كم، اشتهرت المنطقة بعيونها العذبة وأراضيها الخصبة. وصفها البشاري في القرن الرابع الهجري بكونها كانت: "كبيرة جليلة حصينة الجدار غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخلا، حسنة الحصن حارة السوق."
ينظر: عبد الكريم الخطيب، الينبعان النخل والبحر، "مقال"، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، ع. ١٢٢، ٠٤/ ١٩٨٧، ص. ٤.

مِـنَ العَسَـلِ المَـادِّي وَالتَّمْـرِ وَالنَّـوَى كَسـمْنٍ وَلَحْـمٍ لَحْـمِ ضَـأْنٍ وَبَـاقِرِ[١]

أما مرحلة الينبوع–المدينة المنورة فهي تضم بحسب الوارجلاني كلا من: وادي الصفراء، والروحاء[٢]، وصحيرات اليمام[٣]، ويليل[٤]، ثم ذات السيّال (السيّالة) التي تبعد أربعين كيلومترا عن المدينة المنورة، ثم العقيق[٥]، وثنية الغائر[٦] وصولا إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو من مقاصد الرحلة الحجازية الرئيسة؛ فقال عن هذه المرحلة:

إلـىَ قَبْـرِ خَيْـرِ الخلْـقِ مِـنْ نَسْـلِ آدَمِ أَبـي القاسِـمِ النُّـورِ المبـينِ المُـوازِرِ

عَليـــهِ سَـــلامُ اللهِ بـــدْءُ وَعَـــوْدَةً وَصَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ مُعْطِـي الـذَّخَائِرِ

وصَـــلَّى عَلَـــى أَصْـــحَابِهِ وَبَنَاتِـــهِ وَأَزْوَاجِـــهِ وَالطَّيِّبَـــاتِ الطَّـــوَاهِرِ[٧]

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص– ص. ٥٠– ٥١.

(٢) تقع على بعد ٨٠ كم من المدينة المنورة.

(٣) صحيرات اليمام موضع قريب من الينبع، ووردت في الكتب كذلك صخيرات اليمام، اقترن ذكر الموضع بغزوة العشيرة للرسول الكريم.

(٤) وهي قرية بها عين كبيرة تصب في بحر ينبع.

(٥) وادي العقيق يقع جنوب المدينة المنورة بحوالي ١٠٠كم، من أشهر أودية المدينة، وارتبط بالسيرة المحمدية.

(٦) ثنية الغائر ويقال العائر هي في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة والغائر جبل بالمدينة، ذكرها ياقوت الحموي بأنها ثنية بين مكة والمدينة عند العرج صعبة على يمين جبل رَكوبة.
ينظر: عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري اليمني، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج.١، ١٩٩٦، ص. ١٧٥.

(٧) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥١.

وبعد التلبية في موضع ذي الحليفة[١]، والإحرام، مر الركب على مواضع شريفة منها: سقيا بني غفار[٢]، وثنية الهرشى[٣]، وغدير خم[٤]، وموضع الجحفة.[٥]

ومن الأماكن المؤثرة في الرحال خيمة أم معبد[٦] التي قال فيها:

---

(١) ذو الحليفة أو أبيار علي، هي ميقات أهل المدينة للإحرام ولأهل الشام ومصر والمغرب، سميت كذلك نسبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حسب زعم العامة من الرافضة أنه قاتل الجن في إحدى أبيارها، ولا أصل لذلك، ويقال أنه هو من حفرها وذلك أقرب للصواب، ومنهم من يرجع التسمية إلى علي بن دينار أمير دارفور الذي حفر الآبار عام ١٣١٥هـ- ١٨٩٨م، وهذا يثبت خطأ التسمية لأن الرواية قديمة موجودة في كتب التراث.

(٢) منازل بني كنانة، مشهور بمسجد بني غفار، تابع للينبع في المدينة المنورة.

(٣) تقع ثنية الهرشى(الهرشا) بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة يرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلكهما كان مصيبا، حاول فيها جماعة من المنافقين اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من حجة الوداع.

ينظر: محمد صادق محمد الكرباسي، ديوان القرن الثالث عشر، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ط.١، ٢٠١٨، ص. ٥٥.

(٤) خم الغدائر أو موضع خم وهو غدير قرب الجحفة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد أثنى فيه النبي عليه الصلاة والسلام على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد حجة الوداع.

(٥) الجحفة هو الميقات الثاني بعد ذي الحليفة قريب من رابغ خاص بإحرام أهل الشام ومصر والمغرب، القادمين من البحر والنازلين بالسواحل، فأول مرحلة يمرون عليها بعد السير على الرواحل تكون الجحفة.

ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، السراج الوهاج للمعتمر والحاج، إعداد: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، ط.١، ١٤١٦هـ، ص. ١٣١.

(٦) نسبة للمرأة التي استقبلت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه أثناء هجرتهما من مكة إلى المدينة المنورة.

سِراعًا إلـى السُّقْيَا وَهَرْشَـا وَجَحْفَـةٍ ... ومـاءٍ غـديرٍ ثـم جـمِ[١] الغـدَائرِ

ولَمَّـا رأيـنَـا خـيْمـةَ أمِّ مَـعْبَـدٍ ... بكيْنَـا اشـتيَاقاً للنَبِـيِّ المُهَـاجِرِ[٢]

وجاءت مرحلة السفر نحو مكة المكرمة من المدينة المنورة عسيرة على الجمال، فهي طريق قفرة طويلة، وقد أشرفت الإبل على الهلاك عند وصولها إلى عسفان،[٣] جعلت الشاعر يشعر بالشفقة عليها، ويعذرها لشدة ما واجهته، ولطول مدة السفر وهي ستة أشهر، قال معبرا عن ذلك:

كـادَتْ تُلبِّـي تحتنَـا فـي رُغَائِهَـا ... وأبْـدَتْ خُشُـوعًا مُبْهِمَـاتِ الجَرَاجِـرِ

وَحُـقَّ لِمَـنْ قَـدْ سَـارَ سِـتَّةَ أَشْـهُرٍ ... مِـنَ الغَـرْبِ حتّـى زارَ أَبْـيَضَ زَاهِـرِ

بِـأَنْ يَسْـتَرِحْنَ بَـلْ تُعْفَـى مُتَونُهَـا ... مدَى الدّهرِ بَلْ يُعْتَقْنَ عَنْ حُكْمِ جَازِرِ[٤]

وخصّ الوارجلاني جزء هاما من منظومته لسرد أحداث قيامه بمناسك الحج، ولتعداد الشعائر من طواف وسعي، ووقوف بعرفة، ونزول للمزدلفة ومنى، وحل من الإحرام، ونحر للذبائح، واكتحال بمشاهدة الآثار المقدسة، وقد حمد الله تعالى على إكمال الحج، وعزم على العودة إلى الوطن كجميع حجاج البلدان المغاربية، وهو في

---

(١) هو خطأ في النسخ والصواب خم الغدائر والمقصود موضع خم الغدير تمت الإشارة إليه في هامش ٦٥.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٢.

(٣) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي من مكة على مرحلتين، وهي قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع وهي حدّ تهامة.
ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، كتاب معجم البلدان، تقديم وشرح: وسنفيلد، لايبزيك، ألمانيا، ١٨٦٨، ج.٢، ص. ٦٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ص. ٥٤.

شوق كبير للأهل وللوطن من جهة، وحزن على فراق مكة المكرمة والرسول الكريم من جهة أخرى، يقول الوارجلاني:

فلَمَّا انقَضَى مِنْ حَجِّنَا مَا انْقضَى لَنَا ... فطُفْنَا وَوَدَّعْنَا بِأَسْبُعِ صَادِرِ
دَعَانَا إلى الأوْطانِ شَوْقُ مُبرِّحُ ... يُهَيِّج حاجات النفوس الذواكر
وطارت عقولُ النَّاسِ نَحْوَ بِلاَدِهِمْ ... فَغَنُّوا لهَا طَرْدِيَةً المُتَزَاوِرِ
فَلَا تَسْمَعُ الآذَانُ إِلَّا هِيَا هِيَا ... وَهُوَ هُوَ وَهِي هِي بِالضُّحَا وَالأَسَاحِرِ
يَمُدُّ بِهَا صَوْتًا يُهَمْهِمُهَا بِهِ ... يرَدِّدُهَا فِي دَاخِلَاتِ الشَّرَاشِرِ
كَأَنّ فُؤَادِي يَوْمَ فَارَقْتُ مَكَّةَ ... أَخُو نَشْوَةٍ أَوْ عِنْدَ لَيْثِ المَقَاصِرِ
ضَعِيفً القُوى بَادِي الصَّبَابَةِ هَائِمُ ... شَجِيُّ الهَوَى وَاهِي العُرَى وَالبَصَائِرِ
إذا ذَكَرَتْهَا العينُ فاضتْ دمُوعُهَا ... وَإِنْ ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَتَصَابَرِ[1]

وكانت مرحلة الإياب مختلفة في طريقها عن مرحلة الذهاب؛ فقد اختار الوارجلاني مع رفقائه الطريق البحرية لقصرها، فانطلقوا في البحر الأحمر عبر المراكب من ميناء جدة إلى مصر، وقد عانى الركب من أهوال السفر البحري، وفقدوا الكثير من ذويهم غرقا، إلى أن وصلوا إلى ميناء عيذاب ملتقى التجار والحجاج، أين قام ركب الوارجلاني بالتزود بالسلع عن تجار البُجا القادمين إلى الميناء، ثم مواصلة السير برا عبر القرى والمدن المصرية، منها: مدينة قوص[2] من مدن الصعيد واقعة على النيل، وقد وصفها الوارجلاني بالخصيبة، وتليها مدينة قفط الأقدم من قوص،

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٦، ٥٧.

(٢) سميت قوص نسبة لقوص بن قفط بن أخميم بن سيفاف بن أشميس بن مصر، ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، لبنان، مج. ١، ص. ٤٣٦

ومنها إلى البلينا أو بولينا نسبة إلى الملكة المصرية القديمة، وجدها الوارجلاني مدينة جميلة حتى عدّها جنة، لما فيها من فواكه جيدة وكبيرة: كالخوخ، والرمان، والبطيخ، والتوت[١]، كما عرفت المدينة بأحد رجالها المعروفين بالجود كان اسمه شاد بن سرحان.

وتتوالى المراحل المأهولة في الطريق المؤدية إلى الشمال، فمر الركب على مدينة أخميم[٢]، ثم أرض العجوز دلوكة (حائط العجوز)[٣]، وبعد هذا الموضع تأتي مدينة زماخر المعروفة بالساحرة دهية[٤]، ومن زماخر إلى أسيوط موطن سكن قبيلة الجعافرة المحاربة، وقبيلة لواتة التي كانت تسيطر على المنطقة في القديم، ومن أسيوط ذكر الوارجلاني بعض المراحل الصغرى المتلاحقة كأشمونين، ثم المنية المعروفة بالصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي أرسله الرسول الكريم إلى المقوقس ملك مصر، وتلي المنية قرية نهبسة[٥] (بهنسا)، وطنبدى مغراوة نسبة لسكانها من قبيلة مغاغة المنحدرة من مغراوة، ثم منية القائد نسبة للقائد فضل بن

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٦١.

(٢) أخميم هي من أقدم المدن المصرية، كثيرة النخل، ذات كروم ومزارع حسب ما ذكره المقدسي، وذكرها الإدريسي في كتابه ص. ١٢٥، بأنها كانت في القرن الخامس باقية وثابتة.

(٣) بني الحائط بأمر من ملكة من ملوك القبط الأولين؛ حيث خشيت من استيلاء الملوك على مملكتها بعد غرق فرعون ورجاله وسحرته، وهذه الملكة حكمت مصر عشرين سنة إلى أن توفيت وعمرها مائة وثمانين سنة.

(٤) كانت دهية الساحرة حسب الإدريسي نقلا عن روايات السكان ساكنة بقصر في أعلى جبل الطيلمون: "وكانت تتكلم على المراكب فلا تقدر على الجواز عليها البتة مع عون قوة جري الماء وانصبابه وانزعاج قوته عند الجبل." ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مصدر سابق، ج. ١، ص. ١٢٣.

(٥) كذا وردت في الرحلة، ولعله خطأ من الناسخ أو المحقق.

صالح[١] بينها وبين مصر القاهرة يومان، وكوم شريك[٢]، وأرض البحيرة، ثم منارة الإسكندرية، والحمّام(مطروح)[٣]، وسمامة الدوي الساحلية، ومنها إلى قرية العقاب[٤]، ولبة، ومدينة الرمادة، وشماس (قصر الشماس)، وقرية سليم، ومدينة سنترية آخر معاطن مصر.

وتتشابه مراحل العودة داخل البلاد الليبية وحتى منطلقه وارجلان، لذلك ذكرها الشاعر دون الوقوف عندها بالوصف والتفصيل، ومن تلك المراحل بئر زيدان القريب من أوجلة، وزلّة، وجبل الهاروج مستراح الأركاب ودوابهم، بعد المرحلة الصحراوية

---

(١) أحد قواد جيش الخليفة العزيز بالله الفاطمي، وقد حرّف اسم القرية إلى ميت القائد سنة ١٨١٣م حسب ما أورده ابن مماتي في دواوينه. ينظر: خيري شلبي، الجيزة ثاني مدينة بناها المسلمون في مصر "مقال" مجلة الفيصل، ع.٣، أغسطس ١٩٧٧، ص. ٤٨.

(٢) أصل الكوم الرمل المرتفع، جمع كومة، والكوم اسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى ما عرفت به منها، وكوم شريك قرب الإسكندرية كان عمر بن العاص أنفذ فيه شريك بن سمي الغطيفي المرادي الصحابي على مقدمة جيشه في فتح مصر فكثرت عليه الروم بهذا الموضع فخافهم على أصحابه فلجأ إلى هذا الكوم واعتصم به ودافع عنهم حتى أدركه عمرو بن العاص فأنقذهم فسمي كوم شريك لذلك. ينظر: محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داوود، تح. أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٣هـ، ج.١، ص. ١٣٥.

(٣) هي ذات الحمّام سوق جامعة بها جامع بناه زيادة الله بن الأغلب، وسميت كذلك لأن كل من شرب من مائها حمّ إلا من عافاه الله، ولذلك يقول الحداة: "ربّ سلمنا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها" ينظر: أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، مج. ٢، ص. ٦٤٨

(٤) تقع القرية غربي أهرام أبي صير بالجيزة، وحسب المسعودي فقد سميت القرية بالعقاب نسبة للتمثال الذهبي المبني على يد عون، وهو أحد جنود الخليفة الوليد بن دومع العمليقي. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مج. ١، ص. ٤٤٥.

المقطوعة، ثم غدامس[١]، ومن غدامس إلى بلدة الفقهاء التي وجدها الشاعر في مرحلة العودة عام ٥٧١هـ مدمرة، خربة، قتل فيها أكثر أهلها، وارتحل الناجون منها إلى مناطق جبلية مجاورة، وهذا بعد مرور الحاكم قراقوش عليها.[٢]

وإن كان زمن الرحلة الفعلية قد انتهى، فإن زمن التأليف يحل محله في آخر القصيدة، فأورد أخبارا عن الفتح الإسلامي للمغرب، وشكوى من الحال والكبر، ثم فخر بالنسب الذي ينتهي إلى قيس عيلان من قبيلة مضر، ووالدته من غسان، كما اعتد بما ألفه من شعر، ونثر عامة، وبقصيدته الرحلية هاته خاصة، التي عدّها كالعقد المنظم، وهي حسبه يتيمة الدهر، مهرها غال، يأتيها من الخطاب أفضلهم وأقدرهم. ويتباهى بعد ذلك بمنجزاته في الترحال والتجارة وكسب المال الحلال، يقول في هذا المعنى:

لَنَا هِمَّةٌ تَعْلُوا عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ ... وَأَمْوَالُنَا تُوفِي عَلَى كُلِّ دَائِرِ

وَلَا جُودَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلَا مَالَ إِلَّا مَا أَتَى بِالمتاجرِ

---

(١) كانت غدامس المركز التجاري المشهور آنذاك بكونه ملتقى الحجاج والتجار، والطرق التجارية، تصله القوافل من أربعة اتجاهات عبر مفازات الصحراء الكبرى، وهي: طريق توات (غدامس- السودان الغربي)، وطريق غات الجنوبي (غدامس- السودان الأوسط)، والطريق الساحلي (غدامس وطرابلس- برقة)، وطريق القيروان (غدامس- بلاد إفريقية).

ينظر: علي محمد سميو، التجارة والأسواق في إقليمي برقة وطرابلس من كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين مع المقارنة بما جاء في المصادر التاريخية من ٥ إلى ٧هـ، مجلة كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل، الزاوية الغربية، ع.١، مارس، ٢٠٠٥، ص. ١٩٧.

(٢) هو شرف الدين قراقوش مولى تقي الدين بن يوسف بن أيوب الذي قاد الحملة على أوجلة وزويلة، وغيرها من مدن إفريقية، قتله في ودان يحي ابن غانية اللمتوني عام ٦٠٩هـ-١٢١٢م.

وَيَفْتَخِـــر الأَقْـــوَامُ) بِالْمَـــالِ وَالنَّـــدَا وَقَـدْ سَـرَقُوهَا مِـنْ جَمِيـعِ الْمَحَاضِـرِ
كَفَخْـرِ البَغَايَـا يَـوْمَ عُـرْسٍ وَحُلَّـةٍ بِحلْيَـــةِ رَبَّـــاتِ الإمـــاءِ العـــواهِرِ
وَلَنْ يَكْسِبَ المالَ الحَلالَ سِوَى امْرِئٍ يَجُـوبُ الـبِلادَ نَحْـوَ غَانَـةً صَـابِرِ
وَلَـيْسَ يَهَـابُ الحَـرَّ وَالقَـرَّ وَالنّـوى وَلَا الشَّـمْسَ وَالظُّلْمَـاءَ ذَاتِ الـدَّيَاجِرِ[1]

واختار الرحال الوارجلاني إنهاء قصيدته الرحلية بحديث عن القيامة وأهوالها، كما طرق مسألة الجبرية والاختيار، وهي مسألة كانت تشغل المجالس والمناظرات، والكتب الدينية، لينهي رحلته بذكر الله وحمده، كعادة الكتاب في وقته، يقول:

لعـل إلـه الخلـق يـرحم ضـعفنا ويعفـو بخيـر العفـو مـن عفـو قـادرِ
سـأثني علـى ربـي بحسـن ثنائـه وأرضـى بـه ربـا فحسـبي وناصـرِ
هـو الله ربُّ الخلـق لا ربَّ غيـرُه هـو الحـيُّ ذو الآلاء أشـكَرُ شـاكرِ
أعُـدّ سُـراها ثلـث ألـف منيّـرٍ ثـلاث مـائِينَ أو تزيـد كمـا يُـرِ[2]

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٧٨.

المبحث الثاني

الفوائد العلمية للرحلة

من خلال عرض مسار الرحلة وأحداثها تتضح لقارئ الرحلة الوارجلانية الكثير من الفوائد والمعلومات شأنها شأن أي رحلة واقعية مدونة نثرية كانت أو شعرية، فهي تقدم معارف جغرافية شتى، وأخبارا تاريخية خصت المرحلة التي عاش فيها الرحال أو التي قبله، ونذكر من **أهم فوائد الرحلة الوارجلانية** ما يأتي:

- تعيين للمراحل الكبرى والصغرى في الرحلة إلى الحجاز، البرية منها والبحرية.

- تبيان المحطات البارزة للمياه، وأماكن التزود بالمؤن اللازمة للسفر، واقتناء للرواحل.

- تنبيه مواطنيه وقراء رحلته إلى أماكن قبض المكوس من الحجاج كشاطئ البحر الأحمر، ومرحلة ما بعد خيمة أم معبد خارج المدينة المنورة، وتحذيرهم من بعض المواضع الخطيرة على الحجاج بسبب الإغارة كأسيوط التي نزل الحجاج خارجها خوفا من عساكر قبيلة الجعافرة.

- الإشارة إلى كاف الجن في غات الليبية، الذي تروى عنه أسطورة مرتبطة بالأصوات المخيفة التي يسمعها كل من يمر على هذا الجبل، الموجود في منطقة غات غرب ليبيا، وهو معروف حتى وقتنا هذا، ويسميه السكان "كهف الجنون" أو "كهف الأمان" أو "كهف إندينان" هذه التسمية الأخيرة هي باللهجة التارقية، لغة الطوارق، نسبة لإيندينان اسم من أسماء الجن.[١]

---

(١) جبور دوكن، "كهف الجنون" مملكة الجان لدى الطوارق في ليبيا، "مقال"، جريدة القدس العربي، ٥ أغسطس ٢٠١٤.

– ذكر القبائل الموجودة في المناطق التي مر بها الركب، أو سمع عنها كقبيلة الحمراء من معد بن عدنان، وقبيلة مغراوة إحدى بطون قبائل زناتة، وهي بطن من لواتة، وهي أكثر القبائل البربرية انتشارا في المغرب العربي، وسكن بعضها أيضا البحيرة بمصر بين العقيق الكبير ببرقة والإسكندرية، وقبيلتي زهانة، وفركال من قبائل لمطة سكنتا شمال إفريقيا، وقبيلة بني عامر التي مدحها بالشجاعة والتدين، وحسن الأخلاق، وفي جهة الشرق ذكر الوارجلاني قبيلة البُجا التي سكنت مصر والسودان.

– الحديث عن تاريخ المنطقة في جوغراف والحرب التي دارت بين قبيلتي زهانة وفركال البربريتين، فأخبرنا الرحال عما حل بالسكان بسبب الحرب؛ حيث: "أفنوا بعضهم بعضا في تلك المعركة ولا زالت بقايا عظام القتلى والجماجم شاهد على ذلك"(١) وقد شبه الوارجلاني عظام القتلى بقشور بيض النعام في الرمال فقال:

تَسَاقَوا كُؤُوسَ المَوْتِ وَالقَتْلِ بَيْنَهُمْ " وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ دَائِرَاتُ الدَّوَائِرِ

تَلُوحُ عِظَامُ الهَالِكِينَ كَأَنَّهَا أَدَاحِيُّ قَبْضِ البَيْضِ وَسْطَ القَرَاقِرِ "(٢)

– إشارته إلى تدمير الحاكم قراقوش قرية الفقهاء أو العباد في طرابلس وهي الحادثة التي تواترت في كتب التاريخ.

– تعريفه بمدينته وارجلان في آخر الرحلة، وتعداده لمزاياها، فهي ملتقى الحجاج من أنحاء الجزائر والمغرب الأقصى، وهي محل تجارة التمر والذهب، قال في ذلك:

– إشارته إلى بعض الأحداث التاريخية في مصر، كذكره لحروب قبيلة الجعافرة في أسيوط.

---

(١) عبد الصمد، عبد الصمد عبد القادر، رحلات الحج عبر فزان والطرق التي سلكتها في القرن السادس والحادي عشر الهجريين (١٢– ١٧م)، ص. ٦٩.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٤٥.

– تضمين الناظم للعديد من الفوائد الدينية في رحلته، كذكر مناسك الحج، ووصف أماكن الغزوات الدينية الأولى، والفتوحات في مصر، وليبيا، والجزائر، مما استدعى السياق استحضارها، والتذكير بالأخلاق المحمودة، إضافة إلى تلك المواضيع التي ذيّل بها الوارجلاني رحلته من حديث عن جبرية الإنسان وحريته، وأهوال القيامة.

وعلى الرغم من دقة الوارجلاني الكبيرة، وبراعته في تقديم المعلومة، لكننا نلمس بعضا من الهنات كتغيير أسماء المواضع إما لضرورات الوزن والقافية، أو خطأ في التسمية، وذكر بعض الأسماء لشخصيات يعذر التعرف عليها في وقتنا هذا كعلي وعباس في مصر الذين مدحهما لكرمهما الفياض، وقابض المكس ابن البسام في الحجاز الذي هجاه أشد الهجاء، لكن هذه العيوب لا تنقص من قيمة الرحلة ومن أهميتها لمعاصريه، وللمتأخرين على السواء.

المبحث الثالث

خصائص الافتتاحية وخطاب المتلقي في منظومة الوارجلاني

يعتمد أي ناظم للنص الرحلي استراتيجية خاصة لافتتاح السرد، ولشد القراء وتنبيهم، وتعد تلك الاستراتيجية أسلوبا خاصا بالرحال، واختيارا شخصيا يعكس ذات الناظم، وميولاته، أو يفصح عن أهداف ومؤثرات أدّت به إلى اختيار دون آخر.

ولقد اختار مؤلفنا الوارجلاني افتتاحية شبيهة بالافتتاحيات الغزلية، تقليدا للشعر العربي القديم، لكن الغزل في هذه القصيدة لم يكن غرضا أساسيا، ولا مقصد الشاعر من النظم؛ إذ أظهر الوارجلاني زهده في النساء، وفي جمالهن، ومفاتنهن، واعتذر عن عدم الخوض في هذا الموضوع، ليلتفت إلى المقصد الأشرف والأسمى وهو ذكر الرحلة إلى الحج، فقال:

عذِيرِي عَذِيرِي مِنْ ذَوَاتِ المعَاجِرِ[١] ذَوَاتِ العُيُونِ النُّجْلِ بِيضِ المحَاجِرِ[٢]

ذواتُ الشِّفَاهِ اللُّعْسِ بِالظَّلْمِ وَاللَّمَا[٣] غَرَائِرَ خُرْقِ الصُّنْعِ سُودِ الغَدَائِرِ[٤]

نَوَاعِمَ لَمْ يَعْرِفْنَ مَا بُؤْسُ عِيشَةٍ كَوَانِسَ فِي الأَظْلاَلِ مِثْلَ الَجنَادِرِ[١]

---

(١) المعاجر: يقصد بها النساء المختمرات بالعجار، وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها.

(٢) العيون النجل، بيض المحاجر: واسعة العيون، بيضاء الوجه ومحجر العين ما دار بها وبدا من البرقع من جميع العين.

(٣) اللعس واللمى: اللعس سواد مستحسن في الشفاه، واللمى سمرة في باطن الشفة، أو هي عذب الريق ورقة الشفاه، حسب القاموس المحيط، فيكون الجمع بين اللون والمذاق في اللمى، وقد يكون الشاعر قصد باللعس السواد وباللما عذوبة الريق.

(٤) سود ظفائر الشعر. وهو اقتباس من قول الطغرائي في لامية العجم:

←←←

فَـدَعْ عَنْـكَ رَبَّـاتِ الحِجَـالِ وَذِكْرَهَـا وَعُـدْ إِلَـى ذِكْـرِ الحَجِـيجِ المُسَـافِرِ

خَرَجْنَا نَؤُمُّ الشَّرْقَ مِنْ حِيزِ وَارِجْلاَنَ بِفِتْيَـانِ صِـدْقٍ مِـنْ وُجُـوهِ العَشَائِـرِ[٢]

ويستغرق الوارجلاني في افتتاحية رحلته في ذكر العشائر المكونة لركب الحاج منهم أفراد من هلال بن عامر، قبيلة لواتة، وحجاج من قبيلة معد بني عدنان المعروفه بـ "الحمراء"، وآخرون من قبائل البربر من مغراوة، وزناتة، ويُعدّ هذا من التقاليد الأدبية المعروفة في الرحلة، حيث لا يُغفل الكاتب عادة ذكرَ مرافقه، أو مرافقيه، وهذا في الرحلة الحديثة، بينما تواتر ذكر القبائل والشيوخ البارزين في الرحلات الجماعية القديمة، ومنها الرحلات الحجازية، وتجدر الإشارة هنا إلى بروز ضمير المتكلم الجمعي (نحن) للدلالة على أفعال أفراد الركب ومعهم الرحال.

ويبدو لقارئ الرحلة المنظومة محاولة الباث الرحال منذ بداية منظومته إشراك القارئ في العمل، وحثّه على القراءة ودعوته إلى تلمس جماليات قصيدته، واكتشاف الفوائد المضمنة فيها، وقد ظهر القارئ في رحلة الوارجلاني أولا في الافتتاحية، حيث خاطب المتلقي المباشر وغير المباشر لتنبيهه والاعتذار منه؛ لأن قصيدته لن تكون في الغزل، وإنما ستسمو وتتشرف بذكر السفر إلى مكة، ويصطنع في الموقف ذاته الخطاب عن طريق مخاطبته لنفسه، بأمرها ترك الحديث عن النساء.

كما يظهر اعتناء الشاعر بالقارئ في وسط الرحلة، حيث يستخدم في شكل مكرر عبارة (ترى) في مواضع وصفه للطريق، حتى يجعله يتخيل المكان، وكذلك

→→→

يحمون بالبيض والسمر اللدان به **** سود الغدائر حمر الحلي والحلل.

(١) جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٤١.

وردت الكلمة في مدح بعض الشخصيات، ووظفها في معرض وصفه لرؤية المغيرين يمرون على الحجاج ذهابا وإيابا لإرهابهم.

ولا ينهي الوارجلاني منظومته دون مخاطبة المتلقي، فبعد مدح منظومته، وتبيان الجهد الكبير الذي بذله ليقدم للقراء ما استطاع من فوائد، يعتذر لهم عن الهفوات التي وقع فيها، والأخطاء العروضية الهينة التي ارتكبها، ويظهر بذلك متواضعا، يحاول استمالة القارئ، وكسب تعاطفه وتفهمه، يقول في هذا الصدد:

وجنّبْتُ ما يُعنَى الحليمُ بمثلِهِ ... سِنَادًا وَإِقْوَاء وَإِبطَاءَ حَائِرِ

وَعَيْبًا مُعابًا والزّحافاتِ كلِّها ... سوَى فلتَاتٍ مثلُهَا غَيْرَ ضَائِرِ

فمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيهَا مَجعُوطًا ... بِمقلةِ ودٍّ أو بمقلةِ شَازِرِ[1]

يَجِدْ وزْنَهَا وَزْنًا وَحُسْنَ بَيَانِهَا ... بَيَانًا وَإِعْرابَ الغريبِ بْنِ عامرِ[2]

(١) غاضب، مستهين.

(٢) قد يكون قصده ابن عامر الشامي أحد القرّاء السبع للقرآن الكريم، أو إشارة إلى إحدى المصنفات في إعراب غريب القرآن ككتاب أبي البركات الأنباري.

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص- ص. ٧١- ٧٢.

المبحث الرابع

القيم الفنية للرحلة

(جماليات اللغة والأسلوب)

من خلال قراءتنا للقصيدة الوارجلانية نجد أن شاعرنا يظهر اطلاعا جيدا على هذا النمط من الشعر، الذي يدوّن أخبار السفر نظما، ومن المرجح أن يكون قد قرأ العديد من هذه القصائد ليستطيع اتباع القوانين والتقاليد المعروفة في الشعر الرحلي، فضلا عن اطلاعه على كتب الرحلة النثرية، كما لا نغفل حقيقة اطلاعه وحفظه للشعر العربي القديم، إذ تذكرنا بعض الأبيات بزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، والمتنبي، والطغرائي، وكثير عزة، أبي نواس، ... وغيرهم من الشعراء القدامى.

ويمكننا تعداد بدائع القصيدة الوارجلانية فيما يلي:

- تنويعه في الأغراض ما بين غزل ووصف، ومدح وفخر، وشكوى وحنين، وهجاء، وسرد للواقع واسترجاع للتاريخ، وذكر للشعائر الدينية في الحج من زيارة وتلبية وإحرام، وطواف، ونزول بمنى والمزدلفة والتضحية، وهي أغراض كثيرة فلما تجتمع في القصائد الطوال.

- استحياء التراث عن طريق تقليد بعض الشعراء القدامى في وصف ناقته كطرفة بن العبد الذي أبدع في وصف الناقة، وجمع صفات خلقها وسرعتها في داليته المشهورة التي مطلعها:

لخولـــة أطـــلالٌ بِبُرْقَـــةَ ثَهْمَـــد تَلُـوحُ كَبَـاقِي الوَشْمِ فـي ظَـاهِرِ اليَـدِ"[1]

(١) طرفة بن العبد، ديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٣، ٢٠٠٢، ص. ١٩.

حيث يبدو الوارجلاني مثله مثل العرب القدامى معتزا ومفتخرا بما يملكه هو وركبه من رواحل، نعتها بالقوة والسرعة والرشاقة، والجمال، والصبر، وهو مما لا يمكن عدّه تكلفا، لأن الشاعر ما يزال في عهد يعتمد فيه المسافرون على الجِمال، التي من المفترض أنها تنتقى من الأجود والأقوى مما تملك القبيلة، فالطريق إلى الحج طويل وعسير.

وكذلك يظهر الوارجلاني متأثرا بكعب بن زهير في لاميته بانت سعاد، عند صياغة افتتاحيته المذكورة سالفا، التي كان يعتذر فيها عن التغزل بالمرأة لينصرف إلى ذكر الرحلة إلى الحج، ويذكّرنا الوارجلاني أيضا بأبي نواس في مدحه للفضل أبي العباس بن الربيع، أحد وزراء بني العباس في عهد هارون الرشيد، وهو يمدح شخصيتين من مصر سماهما عليا وعباسا، وقلّد المتنبي في وصفه لشفاه المرأة (اللعس واللمى)، وكذلك قلّد الشعراء العرب في فخرهم بالنسب والقبيلة، ويذكرنا الوارجلاني في أحد أبيات القصيدة بكثير عزة وقصيدته في الحج، وهو ما يحيل إلى إطّلاع الناظم على شعر الغزل المضمن وصف مناسك الحج وذكر أماكن في مكة المكرمة والمدينة المنورة، قال الوارجلاني واصفا سير الإبل السريع:

يُوَاصِلْنَ مَا بَيْنَ العُقَابِ وَلَبَةِ يُوَاهِقْنَ بِالحُجّاجِ قَدْحَ السِّوَارِ[1]

ويقول كثير في وصف عزة، وذكر أماكن في واد الحجاز:

"تراها وفاقا بينهن تفاوتُ ويمددن بالإهلال كلّ أصيلِ

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٦٥. والأداحي: جمع أدحوة وهو موضع بيض النعام.

تواهقن بالحجّاج من بطنِ نخلةٍ ومن عَزْوَرٍ والخبتِ خبت طفيْلِ"[١]

هذا فضلا عن الاقتباس المباشر من الشعر العربي القديم، واستخدام ألفاظه، وانتقاء الفصيح منها، ومن ذلك قول الوارجلاني في وصف آثار العظام المتبقية من قبيلتي زهانة وبني فركال في الصحراء الجزائرية، وشبهها بأعشاش بيض النعام (الأداحي):

تَلُوحُ عِظَامُ الهَالِكِينَ كَأَنَّهَا أَدَاحيُّ قَيضِ البَيْضِ وَسْطَ القَرَاقِرِ[٢]

وهو شبيه بقول المتنبي:

"فهاجوك أهدى في الفلا من نجومه وأبدى بيوتا من أداحيِّ النّقانق"[٣]

– كما يبدو من مضامين منظومة الوارجلاني، ولغتها تشبّع الناظم بالثقافة الإسلامية، عن طريق اقتباسه من القرآن الكريم في عديد المواضع، والأمثلة كثيرة منها قوله:

وَطُفْنَا لَدَى البَيْتِ العَتِيقِ ثَلاثَةً وَأَرْبَعَةً مَشْيًا عَلَى كُلِّ عَامِرٍ[٤]

(١) كثير عزة، ديوان، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ١٩٨١، ص. ١٠٩.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، ص. ٤٥.

(٣) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، شرح ديوان المتنبي، تح. ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي، لبنان، ط.١، ١٩٩٩، مج.٣، ص. ١٥٤١، والنقانق مفرده نقنق وهو ذكر النعام ويسمى كذلك الظليم.

(٤) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٤.

وهو اقتباس من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِليَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.﴾(١)

واقتبس الوارجلاني كذلك من القرآن الكريم حين قال:

هُنَاكَ تَفَانَا النَّاس حَتَّى فَنُوا بِهَا وَأَمَّتْ نِسَاء كَالْجَرَادِ النَّوَاشِرِ

كَأَنْ رُؤُوسَ النَّاسِ أَحْجَارُ حَرَّةٍ وَأَحْسَادُهُمْ مِثْلَ الْجُذوعِ الْأَقَاعِرِ(٢)

إذ يقتبس الشاعر ضمن حديثه عن علامات قيام الساعة قول الله تعالى: ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ.﴾(٤)

– ذكر الشاعر للأعلام والشخصيات المقابلة في الرحلة ومدحها في قصيدته، من ذلك مدحه في مصر المدعوين غير المعروفين: علي وعباس، ومعهما شخصية كافور الزمام (الزمامي) فقال فيهم:

نَزَلْنَا عَلَى مِصْرَ وَفِيهَا نُجُومُهَا عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ حَلِيفَا المَفَاخِرِ

عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ نَسِيبَا رَسُولِنَا سَبِيلُهُمَا فِي الخَيْرِ مِن سَعَدٍ ظَافِرِ

عَلِيٌّ عَلِيٌّ فَوْقَ رَاسِ عَدُوِّهِ وَعَبَّاسُ عَبَّاس هِزِيرُ الهَزَابِرِ

شَكَوْنَا إِلَيْهِمْ حَاجَةً بَرَحَتْ بِنَا وَخِفْنَا فَوَاتِ الْحَجَّ إِنْ لَمْ نُبَادِرِ

فَلَبُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِكُمْ فَجَادُوا كَوَسْمِيّ السَّحَابِ البَوَاكِرِ

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام: ١٩.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٦٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة القمر: ٧.

(٤) القرآن الكريم، سورة القمر: ٢٠.

وَنَـــادَوْا بِكَـــافُورِ الزَّمَـــامِ مُجَهِّـــزًا وَأَتَـــوا بِبَـــدْرِ الدُّولَـــةِ الْمُتَجاسِـــر[١]

– التنويع في الأسلوب بين السرد والوصف، والتنويع كذلك في طبيعة الرؤية بين السرد التعبيري الذاتي، والوصف الموضوعي والمباشر، وهذا التنويع راجع لتبدل الحالة الشعورية للشاعر، وتبدل المواقف والمقامات، فيظهر السرد مهيمنا على المنظومة، مرتبطا بحركة الركب، وأحواله المختلفة مما سبق تناوله في أحداث الرحلة، أمّا الوصف فهو يتخلل السرد ويقطعه للوقوف على مشاهدات مثيرة للإعجاب، أو مظاهر مثيرة للقلق، والنفور، وفي هذه المقاطع تتجلى قدرات الناظم اللغوية، ومقدرته التعبيرية، ومن نماذجها الرائقة قوله عن وقوف عرفات:

وَفِـــي عَرَفَـــاتِ مَـــا اعْتَرَفْنَـــا ذُنُوبَنَـــا وَنُحنَـــا عَلَـــى أَروَاحنـــاَ للكبـــائرِ

وُقُوفًـــا عَلَـــى الأَقْـــدَامِ حَتَّـــى تَغَيَّبَـــتْ وَحَتَّـــى تَـــوَارَتْ بِالحِجَـــاب المســـاترِ

ننـــوحُ وَنَبْكِـــي تَـــارَةً وَلَرُبَّمَـــا خَرَرْنَـــا عَلَـــى الْأَذْقَـــانِ خَـــرَّ العتـــائرِ

كـــأَنَّ حَنِـــينَ السَّـــائِلِينَ إِلاهَهُـــمُ رَنِينٌ بِجُوفِ اللَّيْلِ، صَوتُ القتائرِ[٢]

فلا نعدم في هذه الأبيات ما فيها من دقة في تصوير الحالة الشعورية المهيبة، التي يختلط فيها الخوف والرجاء، واليأس والأمل، في موقف عرفات، وهو أعظم مناسك الحج، عبّر عنه بألفاظ شعورية قوية هي البكاء والنواح، والحنين والرنين، وسؤال الخالق الله تعالى، والمناجاة ليلا، وتزيد المعنى قوةً عبارةُ (خرِّ العتائر)؛ إذ شبّه حالة الباكين النائحين من حجاج عرفة، كذبائح شهر رجب المسماة عتائر جمع "عتيرة"، تعبيرا عن خضوعهم لله تعالى، كخضوع الذبيحة بين يدي صاحبها.

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص– ص. ٤٨– ٤٩.

(٢) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٥

ومن نماذج السرد المتخلل بالوصف كذلك نذكر قوله عن سير القافلة:

وَكَانَـتْ تِبِسْـتُو مَنْـزِلاً نَزَلْـتُ بِـهِ وَرَاحَـتْ إِلَـى سَـبْهَا وَسَـهْنَا وَمَـاطِرِ

وَجَـازَتْ عَلَـى زُدِّيـجَ وَهِـيَ مَشِـيحَةٌ إِلَـى مُنْـزِلِ العِبَـادِ ذَاتِ الفَقَـائِرِ

وَقَـدْ هَـرَجَ الهَـارُوجُ مِنْهَـا سِـمَانَهَا وَمَرْمَرَهَـا زُدَيـجُ كُـلُّ الْمَرَامِـرِ

فَلَمَّـا أَنَخْنَاهَـا إِلَـى قَصْـرِ زَلْـةٍ أَنْخَنَـا إِلَـى قَـوْمٍ هُمَـامٍ مُغَـاوِرِ[1]

-التبطيء في سرعة السرد، والسمو فيه باللغة للتعبير عن داخل النفس الشاعرة، في أهم المحطات الرحلية، وأشدها تبئيرا لدى الشاعر، ويمكن تحديد محطات ومراحل يتباطىء فيها السرد، وتسمو فيه اللغة لتعبر عن داخل النفس الشاعرة، ومن هذه المحطات زيارته للمدينة المنورة، إذ خص المرحلة بثلاثة عشر (١٣) بيتا، وهو ما يجعل القارىء يدرك الأهمية التي أعطاها الوارجلاني للجانبين الديني والشعوري، وهو أهم من ذكر المعاطن والتفصيل أو الإطالة في وصفها، وقد يكون هذا دليلا على أن الرحلة الشعرية تتفرّد عن الرحلة النثرية في هذه الخصيصة، أي إعطاء الأولوية لما هو ذاتي وجداني، على الرغم من كون أدب الرحلات المكتوب نثرا هو الآخر بدأ في القرن السادس الهجري على يد ابن جبير الأندلسي (٥٤٠هـ- ١١٤٥م) -المعاصر للوارجلاني- يعرف تحولا بارزا في الكتابة ونزوعا نحو الأدبية، والتقليل من هيمنة الطابعين: التاريخي والجغرافي، يقول منشدا وهو في الطريق إلى المدينة المنورة:

إِلـىَ قَبْـرِ خَيْـرِ الخلْـقِ مِـنْ نَسْـلِ آدَمِ أَبـي القَاسِـمِ النُّـورِ المبـينِ المُـوازِرِ

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٤٦.

عَليـــهِ سَـــلامُ اللهِ بـــدْءُ وَعَـــوْدَةً وَصَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ مُعْطِـــي الـــذَّخَائِرِ

..ولَمَّـــا رأيـــنَـــا خـــيمـــةَ أمِّ مَـــعْبَـــدٍ بكيْنَـــا اشـــتيَاقاً للنَبِـــيِّ المُهَـــاجِرِ[1]

وتتكرر مشاعر الخشوع، والفرح أثناء القيام بمناسك الحج، والتي تتحول فيما بعد إلى حزن على فراق مكة، وشوق للرجوع إلى الوطن، وقد خص هذه المرحلة ثلاثة وثلاثين (٣٣) بيتا أعذبها قوله:

وَلَمَّـــا انتهينـــا نَحْـــوَ كَعْبَـــةِ رَبِّنَـــا بَكَيْنَـــا وَجُـــدْنَا بِالـــدَّمُوعِ البـــوادرِ

تَسُـــحُّ عَلَـــى الخَـــدَّيْنِ وَبْـــلاً وَدِيمَـــةً وَتَنْهَـــلُّ مِثْـــلَ اللُّؤْلُـــؤِ المتنـــاثرِ

وَقَفْنَـــا وَكَبَّرْنـــا المليـــكَ إلاهَنَـــا مَعـــاً، وَاسْـــتَلَمْنَا بِـــالْأَكُفِّ الطَّـــوَاهِرِ

عَلَـــى الْحَجَـــرِ الأَسْـــوَدِ وَاللهُ شـــاهدٌ عَلَـــى مَاسِـــحِيهِ عَـــالِمٌ بِالسَّـــرَائِرِ

وَقُـــلْ أَيُّ شَـــيْءٍ كَـــانَ أَعْلَـــى شَـــهَادَةٍ قُـــلِ اللَّـــهُ رَبِّـــي وَهْـــوَ أَكْـــرَمُ غَـــافِرِ

..وَجِئنـــا إِلَـــى بَيْـــتِ الحَـــرَامِ نَـــزُورُهُ فَيَـــا طَيْـــبَ مُـــزْدَارٍ وَيَـــا خَيـــرَ زائـــرِ[2]

وارتقت اللغة في القصيدة إلى الشاعرية أيضا في حالتين أخروتين هما: التعبير عن غضبه وحنقه من قابض المكس في المدينة المدعو: أبو البسام، حيث ذمّه وعرّض به في رباعية من الهجاء إذ قال:

أتانـــا أبـــو البســـام يَسْـــحَبُ لِحيَـــةً إِلَى الْمَكْسِ يُخْزَا فِي الْوَرَى كُلُّ عَاشِرِ

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص، ص. ٥١، ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص، ص. ٥٤، ٥٦.

كـــان أبـــو البســـام أعظـــم لحيـــةٍ وَأنقَـصَ عَقْـلًا مِـنْ كِـلابٍ شَـوَاغِرِ[١]

ولـولا الـذِي اسْتَرْعَاهُ مِنْ نَسلِ هَاشِم سُـــلالةَ آبـــاءٍ كـــرامِ العناصـــرِ

لأصـبح مثـلَ القِـرْدِ قُبْحًـا وَخِسَّـةً وَأَشأَمَ يَوْمَ الشُّؤْمِ مِنْ شَوْمِ قَاشِرِ[٢]

والحالة الثانية تعلقت بخوفه وهلعه الشديدين أثناء العودة إلى مصر بحرا من جدة، حيث أبدع في أبياته الواصفة لأهوال البحر، وللمخاطر التي تعرض إليها الركاب، وهو مما يدخل في "أدبيات البحر" تجاوزت أبياتها الثلاثين، من أبدعها قوله:

ركِبنَـــا وَوَدَّعْنَـــا النَّحـــاةُ بِجـــدّةٍ علـــى ذات ألـــواح بِغَيْـــرِ دوَاسِـــرِ

فمَـا أَجْهَـلَ الأَقْـوَامَ حِـينَ تَحَمَّلُـوا علـى ظهْـر لُجِـيٍّ عـويصِ المغـائِرِ

وصـرنا كـدودِ فـوق عُـودِ تقاذفـتْ بـــه لجـــجُ البحـــرِ بلْـــه الأغـــامر

قنِطنـا وأَيِسْـنا النفـوسَ مِـنْ الَّتِـي تَســـرُّ وزالـــت ترَّهـــاتِ التَّهـــاتُرِ

وَأَفْئِـدَةُ الحُجَّـاح طَاشَـتْ عُقُولُهـا فَصَارَتْ هَوَاءً مِنْ جَمِيع المخاطِرِ[٣]

ويواصل الرحال سرد أحداث رحلتهم البحرية الخطيرة، التي أودت بحياة العديد من الحجاج، ومنهم أقرباء الرحال، فنعاهم بقوله:

إلـى اللهِ أَشْـكُو فَقْـدَ مَـنْ لَسْتُ وَاجِدًا لـــهُ مـــثلاً فـــي ســـائر الخلـــق بـــائر

وَلَهْفِـي عَلـى السَّـادَاتِ مِـنْ آلِ عَـامِرِ ذَوِي المَجْـدِ والأَخطَـارِ مثـلَ الجـواهِرِ

وُجُـــوهُهُمُ مِثْـــلُ الـــدُّنَانِير زينـــةً وَأَخْلاقُهُـــمْ مِثْـــلُ النّجـــوم الزَّواهـــرِ

(١) شغار الكلب: رفعه الرجل للتبرز.

(٢) قاشر: مُلِحٌّ في السؤال، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٣.

(٣) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٨.

وَمِمَّـــا شَـــجانِي وَاعْتَرَانِـــي وَهَمَّنِـــي ... فبـــتُّ بهـــم فِـــي الفـــؤاد مخـــامرِ
مَصَـــارِعُهُمْ غَرقـــاً وَلَمَّـــا يُكَـــافِحُوا ... جـــلادا بحـــدّ المرهفـــات البـــواترِ
لَـــئِنْ غَـــالَهُمْ رَيْـــبُ الزَّمَـــانِ بِصَـــرْفِهِ ... لَنَـــا الأثَـــرُ البـــاقي بحكـــم المقـــادِرِ
وقـــبلهم مـــا غـــالَ عَـــادًا وَجُرْهُمَـــا ... وَطِســـمًا وَعِمْلاقـــا وَرَبِّ الســـدائر
ســـأبكيهِمْ مَـــا عِشْـــتُ حَيًّـــا مُمتَّعًـــا ... وَأَنـــدُبهُمْ طُـــولَ اللَّيَـــالِي الغَـــوَابِرِ
وأَرْثِهِـــمْ دَهْـــرِي وَأَنْشُـــرُ فَضْـــلَهُمْ ... رِيَـاضَ المَعَـانِي بِـالقَوَافِي السَّـوَائِرِ[1]

ونقف على سمو اللغة عند وصوله إلى بلده وارجلان، حيث بدا الرحال مفتخرا معتزا به:

فَهُـــوَ جَنَّـــةُ الـــدُّنْيَا وَأَبْـــوَابُ مَكَـــةً ... وَمَعْـــدِنُ تبْـــرِ غانـــةَ بالـــدنانيرِ
فَمَنْ كَانَ يَبْغِي الحَجَّ فَلْيَأْتِ وَارجَلان ... يَجِـدْ سُـبْلَهَا رَحبًـا وَخَفْـرَةَ خَـافِرٍ[2]

-كما نلمس براعة الناظم في اختيار الألفاظ الدالة، والموافقة للوزن الشعري ولقافية القصيدة التي جاءت في أكثرها على وزن جزائر، يعطي حضورا للبلد في القصيدة من بدايتها وحتى نهايتها، ومن أمثلتها كلمات:

-ولا نغفل أيضا عن فصاحة لغة الوارجلاني، حتى لنشعر أن القصيدة جمعت كل فرائد الألفاظ في العربية، وقديمها، دون تكلّف في أكثر الحالات، وأمثلتها: الهقل المجيف، وسمي السحاب، تبارا، العسل الماديّ، شعث الغدائر، نهد المراكل، سنبك، حتيف الخنافر، سنيح، نعتامها، القبور الحفائر، الكراكر، لُزَّ، ... وغيرها كثير مما

(١) المصدر نفسه، ص. ٥٩، ٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص. ٦٨.

يعذر حصرها في هذه الدراسة.

-وما يثير الإعجاب كذلك دقته في استعمال ما يظهر للقارئ حشوا للمترادفات في اللغة العربية، التي هي في الواقع تختص بدلالات مميزة ومختلفة مثل قوله:

ونحلقُ شَعثَ الرُّؤوسِ لمّا تفرّغتْ مناسكنا ما بين ذبح وناحر[١]

فالناظم أراد التفريق بين من يذبح ذبيحته في الحج، وينحرها لاختلاف الاستعمال؛ فيكون الذبح للأغنام، والنحر للإبل.

غير أن كل هذه الجماليات لا تجعلنا نغفل عن بعض هنات الرحلة الأسلوبية؛ حيث نلمس تكلف الناظم في بعض مواضع الرحلة المدونة، الذي يوقعه فيه الوزن والقافية، كما أن تنوّع الموضوعات، وتعدد الأغراض الشعرية قد يشتت القارئ المعتني بأحداث الرحلة، ومراحلها فحسب، وتحرم الرحلةُ القارئ الحديث من الاطلاع على تفاصيل السَّيْر في الدّيار الجزائرية الصحراوية من وارجلان إلى ليبيا؛ إذ تخلّى عن تعداد المراحل الصغرى لأن مواطنيه كانوا في غنى عنها.

(١) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، رحلة الورجلاني، ص. ٥٦.

خاتمة

في الأخير، إن رحلة الوارجلاني الحجية المنظومة رحلة قطع فيها الناظم وعدا للمتلقي بأن يضمن له المنفعة المطلوبة، من خلال تعريفه بالطريق إلى الحج، وبكل مراحلها السهلة والعسيرة، كما حمّل نفسه مهمة إبقاء الروابط النفسية والفكرية بينه وبين القارئ؛ بمحاولة إشراكه في اللحظات القوية التي عايشها السعيدة منها والتعيسة، وبجذب انتباهه للغته التراثية الرصينة، ولشتى الأغراض الشعرية والسردية المضمنة في قصيدته من وصف، وفخر، ومدح، ورثاء، وهجاء، وسرد للأخبار والأعاجيب، ختمها بسرد أحداث القيامة، وهو ما يوحي بأن هذه القصيدة قصة حياة (رحلة) لها بداية ونهاية، أساسها الإنسان الرّحال، ومنتهاها الإنسان القارئ، الذي تظل مسؤوليته كبيرة في الاعتناء بتحليلها، وتحليل مثيلاتها من تراث الرحلة الشعري ممّا لا يزال غفلا، منسيا، قابعا بزوايا المكتبات العائلية، ودور المخطوطات الخاصة والعامة.

ببليوغرافيا

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر:

- **ابن العبد، طرفة:**

ديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٣، ٢٠٠٢.

- **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز:**

المسالك والممالك، تحقيق: سعد غراب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٢، المجلد ٢.

- **الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت:**

تقديم وشرح وستنفيلد، كتاب معجم البلدان، لايبزيك، ألمانيا، ١٨٦٨، ج.٢.

- **الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد:**

طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط.١، ١٩٧٠، الجزء ٢.

- **السبكي، محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب:**

المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داوود، تحقيق: أمين محمود، محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٣هـ، الجزء ١.

- **الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد:**

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، المجلد ١، الجزء ١.

- كثير عزة:

ديوان، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١.

- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي:

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، لبنان، المجلد ١.

- الوزان، الحسن بن محمد:

وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط.٢، ١٩٨٣، الجزء ٢.

- الوارجلاني، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السّدراتي:

رحلة الوارجلاني، تحقيق: يحيى بن بهون، سلسلة من الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الإسلامي بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٧، ٩٧ص.

ثالثا: المراجع:

- أبو زكريا الوارجلاني، يحيى بن أبي بكر:

كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق: أيوب عبد الرحمن، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥، ج. ٢، ٤٤٣ص.

- أنساعد، سميرة:

الرحلة الحجية المنظومة بالجزائر، قراءة في رحلة الشيخ يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، "مقال"، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع. ٧٦٤، يونيو ٢٠٢٢.

- الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن:

السراج الوهاج للمعتمر والحاج، إعداد: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، ط.١، ١٤١٦هـ، ١٤٢ص.

- الخطيب، عبد الكريم:

الينبعان النخل والبحر، "مقال"، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، ع. ١٢٢، ٠٤/ ١٩٨٧.

- دوكن، جبور:

"كهف الجنون" مملكة الجان لدى الطوارق في ليبيا، "مقال"، جريدة القدس العربي، ٥ أغسطس ٢٠١٤.

- سميو، علي محمد:

التجارة والأسواق في إقليمي برقة وطرابلس من كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين مع المقارنة بما جاء في المصادر التاريخية من ٥ إلى ٧هـ، "مقال"، مجلة كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل، الزاوية الغربية، ع.١، مارس، ٢٠٠٥.

- شلبي، خيري:

الجيزة ثاني مدينة بناها المسلمون في مصر، "مقال"، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، العدد ٣، أغسطس ١٩٧٧.

- العامري اليمني، عماد الدين يحيى بن أبي بكر:

بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج.١، ١٩٩٦.٩٨٤ص.

- عبد الصمد، عبد القادر:

رحلات الحج عبر فزان والطرق التي سلكتها في القرن السادس والحادي عشر الهجريين (١٢- ١٧م)، "مقال"، مجلة جامعة سبها، ليبيا، المجلد ١٣، العدد ١، ٢٠١٤.

- الفاطمي، محمد:

الرحلة الحجية القورارية من خلال أنموذج قصيدة الشوق (مجهولة المؤلف)، "مقال"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، مج. ٠٦، ع. ٠٣، ١٢/ ٢٠٢٠.

- كبريت، محمد بن عبد الله بن محمد:

رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط. ٢، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦،٢٤٩ص.

- الكرباسي، محمد صادق محمد:

محمد صادق محمد الكرباسي، ديوان القرن الثالث عشر، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ط.١، ٢٠١٨.

- كمال، هناء:

واحة سيوة أرض النخيل والزيتون والعيون الكبريتية وملكة السياحة العلاجية، "مقال"، مجلة إيجيبشين جيوغرافيك، موقع إلكتروني *egyptiangeographic.com*.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد:

شرح ديوان المتنبي، تح. ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي، لبنان، ط.١، ١٩٩٩، مج.٣، ص. ١٥٤١.

ملحق (رحلة الوَارِجْلاني)

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السّدراتي الوارجلاني[1]

٠١ عـذِيرِي عَـذِيرِي مِـنْ ذَوَاتِ المعَـاجِرِ ذَوَاتِ العُيُـونِ النُّجْـلِ بِـيضِ المحَـاجِرِ

٠٢ ذواتِ الشِّـفَاهِ اللُّعْـسِ بِـالظَّلْمِ وَاللَّمَـا غَرَائِـرَ خُـرْقِ الصُّـنْعِ سُـودِ الغَـدَائِرِ

٠٣ نَـوَاعِمَ لـمْ يَعْـرِفْنَ مَـا بُـؤْسَ عِيشَـةٍ كَـوَانِسَ فـي الأَظْـلاَلِ مِثْـلَ الجَنَـادِرِ

٠٤ فَـدَعْ عَنْـكَ رَبَّـاتِ الحِجَـالِ وَذِكْرَهَـا وَعُـدْ إِلَـى ذِكْـرِ الحَجِـيجِ المُسَـافِرِ

٠٥ خَرَجْنَا نَؤُمُّ الشَّرْقَ مِنْ حِيزِ وَارِجْلاَنَ بِفِتْيَـانِ صِـدْقٍ مِـنْ وُجُـوهِ العَشَائِـرِ

٠٦ جَرِيُّـونَ جَوَّابُـونَ كُـلَّ تَنُوفَـةٍ يَحَـارُ بِهَـا هَـادِي القَطَـا الْمُتَصَـادِرِ

٠٧ يـؤُمُّ بِنَـا زَهْـوَا وَيَسْـمُو بِطَرْفِـهِ أَبُـو ثَعْلَـبٍ كَالصَّـفْرِ جَـلَّ لِنَـاظِرِ

٠٨ بصُـيَّابَةٍ مِـنْ خَيْـرِ كُـلِّ قَبِيلَـةٍ ولا سِـيَمَا مِـنْهُم هـلالُ بْـنِ عـامرِ

٠٩ كِـرَامٌ وَأَبْنَـاءُ الكِـرَامِ وَسَـادَةً كِـرَامُ الفِعَـالِ وَالعُـلَا وَالْمَـآثِرِ

١٠ تـرَى مُضَـرَ الحَمْـرَاءَ تَعْـزُو وَتَنْتَمِـي تُشِـيرُ إِلَـيْهِمْ بِالنَّـدَى وَالْمَفَـاخِرِ

١١ هُـمْ زَهْـرَةُ الـدُّنْيَا وَبَهْجَـةُ أَهْلِهَـا وَسَـادَةُ أَهْـلِ الغَـرْبِ بَـادٍ وَحَاضِـرِ

١٢ ومَغْـرَاوَةُ عُلْيَـا زِنَاتَـةَ كُلِّهَـا كَغَيْـرِهِمْ مِـنْ خَيْـرِ أَهْـلِ الْجَزَائِـرِ

---

(١) تم الاعتماد على النسخة المحققة المعتمدة في البحث، مع تصويب بعض الأخطاء التي وقع فيها المحقق.

١٣ لـدى الكَعْبَـةِ البَيْـتِ الحَـرَامِ وُجُـوهُهُمْ عَلَـى قُلْـصِ خُـوصِ العُيُـونِ ضَـوَامِرِ

١٤ جَوَافِـل أَمْثَـالَ الشَّـيَاطِينِ بُـدَّنٍ وَمِثْـل الحَنَايَـا مِـنْ حَنَايَـا القَنَـاطِرِ

١٥ قلائـصَ نَـتْجَ الأَنْـتُجِ الخَيْـرُ نَتْجُهَـا يُبَـارِينَ فِـي البَيْـدَاءِ قَفْـرَ اليَعَـافِرِ

١٦ رَحَلْنَـا وَأَزْمَعْنَـا الرَّحِيـلَ رِكَابَنَـا إِلَـى عَـيْنِ صَـولَةٍ عِجَـابٍ تَفَـاكُرِ

١٧ لبَحْـرَيْنِ بَحْـرٍ مَـالِحٍ وَسْـطَ رَمْلَـةٍ وَرَمْـلٍ كَأَمْثَـالِ البِحَـارِ الزَّوَاخِـرِ

١٨ وتعـزف فِيـهِ الجِـنُّ فَـوْقَ رُؤُوسِـنَا كَمَـا عَزَفَـتْ بِـيضُ الـدُّمَى بِـالْمَزَامِرِ

١٩ سُـقِينَا وَرُوِّينَـا وَسَـارَتْ رِكَابُنَـا نَـوْمٌ تْمِسَـانْ بِنَـا كَالشَّـعَائِرِ

٢٠ كَـأَنْ رؤوسَ الرَّمْـلِ صَـارَتْ تِهَامَـةً بِأَجبَالِهَـا والآلُ مِثْـلُ البَحَـائرِ

٢١ إِذَا مَـا قَطَعْنَـا مَهْمَهـا بَعْـدَ مَهْمَـةٍ تَطِيـرُ بِنَـا مِثْـلَ السَّـهَامِ الطَّـوَائِرِ

٢٢ وَمِـنْ دُونِ مَـاءِ الزَّعْفَـرَانِ تَقَطَّعَـتْ بِرَاحِلِنَـا عَطْشًـا ظُهُـورُ الْمَفَـاقِرِ

٢٣ تَنَـادَوا لَهَـا الفِتْيَـانُ فَـدًّا وَتُؤْأَمًـا رواحِـلَ صـدقٍ يُسِّـرتْ للمُعاسِـرِ

٢٤ يَقُـودُهُمُ البِكْـرُ الأَحَيْمِـرُ صَـادِرًا يُوَائِـلُ كَالِهِقْـلِ الْمُجِيـفِ الْبَـادِرِ

٢٥ فَلَـمْ يَـكُ الأَمْثَـلُ قَوْلـكَ لا بَـلاَ أَتَوْنَـا بِمَـاءٍ نَـاقِعٍ فـي الحنـاجر

٢٦ وَبِتْنَـا بِمَـاءِ الزَّعْفَـرَانِ نَجُمُّـهُ كَـأَنْ نِسَـاءً لُطِّحَـتْ بِالزَّعَـافِرِ

٢٧ فلأيـا بـلأي مَـا ارْتَوَيْنَـا وَأَسْـرَعَتْ إِلَـى جُغـراف واردات الـزَّرَازِرِ

٢٨ لَـدَى مُلْتَقَـى الْجَمْعَـيْنِ جَمْـعِ زَهَانَـةٍ وَجَمْـعِ بَنِـي فَزْكَـالٍ أُسْـدِ البَرَابِـرِ

٢٩ تسَاقَوا كُؤُوسَ المَوْتِ وَالقَتْلِ بَيْنَهُمْ وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ دَائِرَاتُ الدَّوَائِرِ

٣٠ تَلُوحُ عِظَامُ الهَالِكِينَ كَأَنَّهَا أَدَاحِيُّ قَيْضِ البَيْضِ وَسْطَ القَرَاقِرِ

٣١ أَصَبْنَا بِهَا أَشْلَاء لَمْطَة عُزَّبًا مَغِيظَتُهَا فِي كُلِّ أَخْضَرَ نَاظِرِ

٣٢ مُحَابَةُ تِجْلِزَّامَ أَيُّ مُجَابَةٍ لَهَا حَاجِزَانِ بَيْنَ رَمْلٍ وَحَاجِرِ

٣٣ جَزَى اللهُ عَنَّا جِرْمَةَ وَبِلاَدَهَا وَفَزَانَ خَيْرًا شَاكِرًا غَيْرَ كَافِرِ

٣٤ هُمْ أَوْسَعُونَا مَا اسْتَطَاعُوا بِخَيْرِهِمْ وَعَافِيَةٍ جَلَّتْ وَمِنْ تمْرٍ تَامِرِ

٣٥ وَكَانَتْ تِبِسْتُو مَنْزِلاً نَزَلْتْ بِهِ وَرَاحَتْ إِلَى سَبْهَا وَسُهْنَا وَمَاطِرِ

٣٦ وَجَازَتْ عَلَى زُدِّيجَ وَهِيَ مَشِيحَةٌ إِلَى مُنْزِلِ العُبّادِ ذَاتِ الفَقَائِرِ

٣٧ وَقَدْ هَرَجَ الهَارُوجُ مِنْهَا سِمَانَهَا وَمَرْمَرَهَا زُدَيجُ كُلِّ الْمَرَامِرِ

٣٨ فَلَمَّا أَنَخْنَاهَا إِلَى قَصْرِ زَلْةٍ أَنْخَنَا إِلَى قَوْمٍ هُمَامٍ مُغَاوِر

٣٩ إِلَى سَيِّدٍ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيَنْتَمِي إِلَى سَيِّدِ النَّاسِ الكِرام الأكابرِ

٤٠ أَبَا نَائِم لازِلْتَ فِي الدَّهْرِ نَائِمًا وَلا زِلْتَ مَحْرُومَ السَّحَابِ المَوَاطِرِ

٤١ فجَالُوا وَأَزرَقِيَّةَ وَبِلادَهَا وَزِيدَانَها كُلًّا قطَعْنَا بِخَافِرِ

٤٢ وَسَارَتْ تَبَارا فِي تَبَارَا كَأَنها نعائم هُجْلٍ رُعْنَ مِنْ صَوْتِ ذَاعِرِ

٤٣ فيُجهضْنَ بِالأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنْزِل نَزَلْنَا بِهِ، يوَدِّعْنَهَا بِالقراقِرِ

٤٤ خرَجْنَا بِهَا شَوْلاً وَأَصْبَحْنَ حولَلاَ شَوَائِلَ بالأذنَابِ غَيْرَ خَوَاطِرِ

٤٥ حَفَرْنَـــا وَأَجْهَرْنَـــا وَمُحْنَـــا زِقاقَنَـــا ونحـن وقـوف فـي ظهـور الأبـاعِرِ

٤٦ عَلَـى مَـاءِ الأَثْـوامِ ابْتَلَلْنَـا بلالنـا وَصِـرْنَا شَـرِيحاً مُسْـتَمِيحا وَخَـافِرِ

٤٧ وَأَصْـبَحَ بِئْـرُ ابـن المُكَسَّـرِ رَاوِيًـا لأصـــحابهِ يَنحونـــهُ بـــالجرائرِ

٤٨ تَخَـــالُ مَطَايَانَـــا لَـــدَى سَـــنْتَرِيَّةً وَقَـدْ جَفَلَـتْ مِنْهَـا سِـمَانَ الْمَقَـائِرِ

٤٩ وَصِـرْنَا إِلَـى مَـاءِ الوَطِيَّـةِ نُزَّعـا تُرِيـدُ بِنَـا أَلْـوَاحَ مِصْـرَ الأَمَاصِـرِ

٥٠ نَزَلْنَـا عَلَـى مِصْـرَ وَفِيهَـا نُجُومُهَـا عَلِـيٌّ وَعَبَّـاسٌ حَلِيفَـا المَفَـاخِرِ

٥١ عَلِـيٌّ وَعَبَّـاسٌ نَسِـيبَا رَسُـولِنَا سَبِيلُهُمَا فِـي الخَيْـرِ مِـن سَعَدٍ ظَـافِرِ

٥٢ عَلِـيٌّ عَلِـيٌّ فَـوْقَ رَاسِ عَـدُوِّهِ وَعَبَّـاسُ عَبَّـاسٌ هِزَبْـرُ الهَزَابِـرِ

٥٣ شَـكَوْنَا إِلَـيْهِمْ حَاجَـةً بَرَحَـتْ بِنَـا وَخِفْنَـا فَـوَاتِ الْحَـجَّ إِنْ لَـمْ نُبَـادِرِ

٥٤ فَلَبُّـوا وَقَـالُوا مَرْحَبًـا مَرْحَبًـا بِكُـمْ فَجَـادُوا كَوَسْـمِيّ السَّـحَابِ البَـوَاكِرِ

٥٥ وَنَـــادَوْا بِكَـــافُورِ الزَّمَـــامِ مُجَهِّـــزًا وَأَثْنَـــوا بِبَـــدْرِ الدُّولَـــةِ الْمُتَجاسِـــرِ

٥٦ وفـي بركـة الجـب اسْـتَرَاحَتْ وَفَـوَّزَتْ وَعَـادَتْ كَمَـا كَانَـتْ شَـيَاطِينُ زَاغِـرِ

٥٧ تُرِيـدُ بـلاد التيـهِ مِـنْ بَحْـرِ قُلْـزُم إِلَـى عَـيْنِ مُوسَـى مُسْـتَرَادِ الأَخَاسِـرِ

٥٨ رَمِينَـا رُكَيْـلَ العَبْـدِ لَيْـةَ يُمَنَـةً إِلَـى طُـورِ سِـينَا تَنتَحِـي لِلْمَيَاسـر

٥٩ مُؤَلَّلَـــةَ الآذَانِ مِـــنْ خَـــوْفِ إِيلَـــةٍ يَهَـابُ بِهَـا الْحُجَّـاجُ جَمْـعَ الأَكَـافِرِ

٦٠ وَبَحْرِيَّـــةُ لَا قَـــدَّسَ اللهُ جَمْعَهُـــمُ وَعَايَـــدَها مثـــلَ القُـــرُودِ الأَبَـــاتِرِ

٦١ لَقَيْنَـــاهُمْ سُـــودَ الوُجُـــوهِ أَذِلَّـــةً عُـــرَاةً مِـــنَ الإِسْـــلاَمِ أَفْجَـــرَ فَـــاجِرِ

٦٢ جِبَالُـــكِ يَـــا حِسْـــمَى جِبَـــالٌ مَنِيعَـــةٌ وَحَقْـلٌ، وَقَبْـرُ الشَّـيْخِ مَجْـرَى الْخَنَـافِرِ

٦٣ وَلَمَّـــا وَرَدْنَـــا مَـــاءَ مَـــدْيَنَ وَارْتَـــوَتْ وَسَـــارَتْ لِـــوَادِ الـــدُّومِ ذَاتِ الْمَـــوَاقِرِ

٦٤ وَعَيْنُونَـــةٍ والتَّبْـــكُ بَعْـــدَ عُوَيْنَـــةٍ وَأَكْـرِمْ بِفَـيْضِ مَشْـرَبٍ فِـي الغَرَائِـرِ

٦٥ وَفِـي بَلْـدَةِ الحَـوْرَاءِ طَـابَ لَنَـا الكَـرَا أَمَنَّـــا وَفَارَقْنَـــا بِهَـــا كُـــلَّ كَـــافِرِ

٦٦ وَأَوْدِيَـــةِ اليُنْبُـــوعِ أَزْهَـــتْ وَأَخْصَـــبَتْ عَلَـــى كُـــلِّ وَادٍ مِـــنْ تِهَامَـــةَ غَـــائِرِ

٦٧ مِـنَ العَسَـلِ المَـادِّي وَالتَّمْـرِ وَالنَّـوَى كَسَـمْنٍ وَلَحْـمٍ لَحْـمِ ضَـأْنٍ وَبَـاقِرِ

٦٨ وَحَـادَتْ عَلَـى الـدَّهْنَاءِ وَالرَّمْـلِ حِيـدَة وَبَـــدْرٍ وَبَـــزْوَاءِ الغَطَـــاطِ النَّـــوافِرِ

٦٩ وَجَـازَتْ عَلَـى الصَّـفْرَاءِ وَهِـيَ سَـرِيعَةٌ وَمَـرَّتْ عَلَـى الحمـراءِ مثـل الضَّـرَائِرِ

٧٠ وَأَمَّـــت صُـــحَيْرَاتُ اليَمَـــامِ وَيَلْيَـــل وَذَاتِ الســـيال فـــالعَقِيقُ فَغَـــائِرِ

٧١ إِلـىَ قَبْـرِ خَيْـرِ الخلْـقِ مِـنْ نَسْـلِ آدَمِ أَبِـي القَاسِـمِ النُّـورِ المبـينِ المُـوازِرِ

٧٢ عَلَيـــهِ سَـــلامُ اللهِ بـــدْءاً وَعَـــوْدَةً وَصَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ مُعْطِـــي الـــذَّخَائِرِ

٧٣ وصَـــلَّى عَلَـــى أَصْـــحَابِهِ وَبَنَاتِـــهِ وَأَزْوَاجِـــهِ وَالطَّيِّبَـــاتِ الطَّـــوَاهِرِ

٧٤ فَلَمَّـــا أَتَيْنَـــا ذَا الحُلَيفَـــةِ عَـــوْدَةً جَأَرْنَـــا وَلَبَّيْنَـــا بِصِـــدْقِ الضَّـــمَائِرِ

٧٥ إِلَهَـــا دَعَوْنَـــا اللهَ جَـــلَّ جَلالُـــهُ عَجِـيحَ النِّسَـاءِ الْمُـثْكَلاتِ العَـوَاقِرِ

٧٦ فَمِـنْ بَـيْنِ مَهْمُـومٍ حَـزِينٍ لِذَنْبِـهِ وَآخَـرَ مُشْـتَاقٍ إِلَـى اللَّـهِ صَـائِرِ

٧٧ وآخـرَ يَـدْعُو اللَّـهَ يَرْجُـوهُ حَاجَـةً ... يلَجْلِجُهَـا فِـي نَفْسِـهِ غَيْـرَ قَاصِـرِ

٧٨ وَكُنَّـا تَجرَّدْنَـا لَهَـا عَـنْ مَخيطِنَـا ... عُـرَاةٌ، وَجَنَّبْنَـا صِـبَاغَ العَصَـافِرِ

٧٩ وَخُفًـا وَشَـمُّ الزَّعْفَـرَانِ وَمَسِّـهِ ... وَوَرْسًـا وَهَاجَرْنَـا جَمِيـعَ الْمَعَـاطِرِ

٨٠ وَحَـرَّمَ عَلَيْنَـا القَمْـل وَالصَّـيْد وَالخَنَـا ... وَفِعْـلَ الْفُسُـوقِ وَالغَـوَانِ الْخَـوَادِرِ

٨١ وَصِـرْنا إلـى مـاء الأتايـةِ جُفَّـلاً ... تسـيل لنـا الأمطـارُ فـوق المحـاجرِ

٨٢ سِـراعًا إلـىَ السُّـقْيَا وَهَرْشَـا وَجَحْفَـةً ... ومـاءٍ غـديرٍ ثـم جـمِّ الغـدَائرِ

٨٣ ولَمَّـا رأينَـا خـيْمـةَ أمِّ مَـعْبَـدٍ ... بكيْنَـا اشـتيَاقاً للنَبِـيِّ المُهَـاجِرِ

٨٤ أتانـا أبـو البَسَّـامِ يَسْـحَبُ لِحيَـةً ... إِلَى الْمَكْسِ يُخْزا فِي الْوَرَى كُلَّ عَاشِرِ

٨٥ وَكـان أبـو البَسَّـامِ أعظـم لحيـةٍ ... وَأنقَـصَ عَقْـلًا مِـنْ كِـلابٍ شَـوَاغِرِ

٨٦ ولـولا الـذِي اسْتَرْعَاهُ مِنْ نَسلِ هَاشِم ... سُـلالةَ آبـاءٍ كـرامِ العناصـرِ

٨٧ لأصـبح مثـلَ القِـرْدِ قُبْحًـا وَخِسَّـةً ... وَأَشـأَمَ يَـوْمَ الشُّـؤْمِ مِـنْ شَـوْمِ قَاشِـرِ

٨٨ فَيَـا هَاشِـمُ أَضْـحَتْ سَـنُوكَ بِمَكَّـةَ ... وَأَكْنَافُهـا أَعْيَادُهـا فـي الأعاصِـرِ

٨٩ فَـإِنْ هِـيَ طَالَـتْ طَـوَّلَ اللهُ أَمْرَهَـا ... تتِيـهُ عَلَـى الـدُّنْيَا بِقُـدْرَةِ قَـادِرِ

٩٠ كَانَـتْ بَقَايَـا عِيسِـنا قـد تَعَسْعَسَـت ... وَوَلَّـتْ هُـزَالاً غَيْـرَ غُبْـرٍ جرَائـرِ

٩١ وَقَـدْ حَلَّهَـا طُـولُ الـرَّوَاحِ وَمَلّهَـا ... وَطُـولُ الغُـدُوِّ وَالسُّـرَى وَالْهَـوَاجِرِ

٩٢ فلـم يبـقَ لِلـرَّائِينَ إِلَّا خَيَالُهَـا ... وَإلا عيـونٌ كـالقُلَاتِ الغـوائرِ

٩٣ فمَـا بَلَغَـتْ عَسـفَانَ حَتَّـى تَـوَقَّرَتْ وَعَـادَ لَهَـا حِلْـمٌ كحِلْـمِ الأَكَاسِـرِ

٩٤ وكـادَتْ تُلبِّـي تحتنَـا فـي رُغَائِهَـا وأبْـدَتْ خُشُـوعًا مُبْهِمَـاتِ الجَرَاجِـرِ

٩٥ وَحُـقَّ لِمَـنْ قَـدْ سَـارَ سِـتَّةَ أَشْـهُرٍ مِـنَ الغَـرْبِ حتّـى زارَ أَبْـيَضَ زَاهِـرِ

٩٦ بِـأَنْ يَسْـتَرِحْنَ بَـلْ تُعْفَـى مُتُونُهَـا مدَى الدّهرِ بَلْ يُعْتَقْنَ عَنْ حُكْمِ جَازِرِ

٩٧ وَلَمَّـا انتهينـا نَحْـوَ كَعْبَـةِ رَبِّنَـا بَكَيْنَـا وَجُـدْنَا بِالـدُّمُوعِ البـوادرِ

٩٨ تَسُـحُّ عَلَـى الخَـدَّيْنِ وَبْـلاً وَدِيمَـةً وَتَنْهَـلُّ مِثْـلَ اللُّؤْلُـؤِ المتنـاثرِ

٩٩ وَقَفْنَـا وَكَبَّرْنـا المليـكَ إلاهَنَـا مَعـاً، وَاسْـتَلَمْنَا بِـالْأَكُفَّ الطَّـوَاهِرِ

١٠٠ عَلَـى الْحَجَـرِ الأَسْـوَدِ وَاللهُ شـاهدٌ عَلَـى مَاسِـحِيهِ عَـالِمٌ بِالسَّـرَائِرِ

١٠١ وَقُـلْ أَيُّ شَـيْءٍ كَـانَ أَعْلَـى شَـهَادَةً قُـلِ اللَّـهُ رَبِّـي وَهُـوَ أَكْـرَمُ غَـافِرِ

١٠٢ وَطُفْنَـا لَـدَى البَيْـتِ العَتِيـقِ ثَلاثَـةً وَأَرْبَعَـةً مَشْـيًا عَلَـى كُـلِّ عَـامِرِ

١٠٣ أتينـا المقـامَ حِـينَ تَـمَّ طَوَافُنَـا إلـى ركعتيـه وَارِدًا بَعْـدَ صَـادِرِ

١٠٤ وَصِـرْنَا إِلَـى مَـاءِ الْحَيَـاةِ بِزَمْـزَمَ وَجِئْنَـا الصَّـفَا وَالْمَـرْوَةَ رَاسَ الْمَشَـاعِرِ

١٠٥ سَـعَيْنَا وَهَرْوَلْنَـا بِـبَطْنِ مَسِـيلِةٍ ونتبـعُ آثـارَ الوحيـدةِ هـاجَرِ

١٠٦ وَفِـي عَرَفَـاتِ مَـا اعْتَرَفْنَـا ذُنُوبَنَـا وَنُحنَـا عَلَـى أَرواحنـاَ للكبـائرِ

١٠٧ وُقُوفًـا عَلَـى الأَقْـدَامِ حَتَّـى تَغَيَّبَـتْ وَحَتَّـى تَـوَارَتْ بِالحِجَـابِ المُسـاترِ

١٠٨ ننـوحُ وَنَبْكِـي تَـارَةً وَلَرُبَّمَـا خَرَرْنَـا عَلَـى الْأَذْقَـانِ خَـرَّ العتـائرِ

١٠٩ كـــأَنَّ حَنِـــينَ السَّـــائِلِينَ إِلاهَهُـــمُ ... رَنِـينٌ بِجَـوْفِ اللَّيْـلِ، صَـوتُ القتـائرِ

١١٠ وَبِتنَـــا بِجَمْـــعٍ وَازْدَلَفْنَـــا لِرَبِّنَـــا ... وَبِتْنَـا بِهَـا حَتَّـى الصَّـبَاحِ بِبـاكرِ

١١١ وَقَفْنَـــا وَغَلَّسْـــنَا الصَّـــلاةَ وَبَعْـــدَهَا ... أَفَضْـنَا إِلَـى صِـهْرِيجِ سـتِّ الحرائـرِ

١١٢ وَجُزْنَـــا عَلَـــى وَادِ الْمُحَسَّـــرِ شُـــرَّعَا ... سِـــرَاعًا بِسَـــيْرٍ نَافِـــدٍ غَيْـــرِ فَـــاتِرِ

١١٣ بلَغْنَـا المُنَـا لَمَّـا انْتَهَيْنَـا إِلَـى مِنـى ... وَرَمـــيِ الجِمَـارِ بِالحَصَـى الْمُتَطَـايِرِ

١١٤ عَلَـــى تفـــث لَـــمْ نَقْضِـــهِ وَثِيَابُنَـــا ... ثِقَـالٌ عَلَـى الْأَجسَـادِ، شُـعْثِ الغـدائِرِ

١١٥ ونحلـقُ شَـعثَ الـرُّؤوسِ لمّـا تفرّغـتْ ... مناســكنا مــا بــين ذبــح ونــاحر

١١٦ وَجئنـــا إِلَـــى بَيْـــتِ الحَـــرَامِ نَـــزُورُهُ ... فَيَـا طَيْـبَ مُـزْدَارٍ وَيـا خَيـر زائـرِ

١١٧ ولــم يبــقَ لِلْحُجَّــاجِ شَــيء يَهُمُهُــم ... مِـنَ الثَّفَـثِ الْمُقْضَـى أَوْ نَـذْرٍ نـاذرِ

١١٨ وَذَاكَ بِحَمْـــدِ اللهِ رَبِّـــي وَخَـــالِقِي ... قَضَـــيْنَا وَوَفَّيْنَـــا جَمِيـــعَ الْمَشَـــاعِرِ

١١٩ فكَـــانَ أَبـــو الرَّيَّـــانِ شـــكْرًا ميمّمًـــا ... فـــأكرمْ بـــه بـــل بـــالجميع العـــوامِرِ

١٢٠ بلّغْنَـا المُنـا لَمَّـا انْتَهَيْنَـا إلـى منـىً ... وَرَمـــي الحِمَـــارِ بِالحَصَـــى الْمُتَطَـــابِرِ

١٢١ فلَمَّا انقَضَى مِنْ حَجِّنَا مَا انْقضَى لَنَا ... فطُفْنَـــا وَوَدَّعْنَـــا بِأَسْـــبُعِ صَـــادِرِ

١٢٢ دَعَانَـا إِلـى الأَوْطَـانِ شَـوْقُ مُبـرِّحُ ... يُهَـيِّج حاجـات النفـوس الـذواكر

١٢٣ وطـارت عقـولُ النَّـاسِ نَحْـوَ بِلاَدِهِـمْ ... فَغَنُّـــوا لهَـــا طَرْدِيَـــةَ المُتَـــزَاوِرِ

١٢٤ فَـــلَا تَسْـــمَعُ الآذَانُ إِلَّا هِيَـــا هِيَـــا ... وَهُوَ هُوَ وَهِي هِي بِالضُّحَا وَالأَسَاحِرِ

١٢٥ يَمُـدُّ بِهَـا صَـوْتًا يُهَمْهِمُهَـا بِـهِ يرَدِّدُهَـا فِـي دَاخِـلَاتِ الشَّرَاشِـرِ

١٢٦ كـأَنّ فُـوَادِي يَـوْمَ فَارَقْـتُ مَكَّـةَ أَخُـو نَشْـوَةٍ أَوْ عِنْـدَ لَيْـثِ المَقَاصِـرِ

١٢٧ ضَـعِيفُ القُـوى بَـادِي الصَّـبَابَةِ هَـائِمُ شَـجِيُّ الهَـوَى وَاهِـي العُـرَى وَالبَصَـائِرِ

١٢٨ إذا ذَكَرَتْهـا العـينُ فاضـتْ دمُوعُهَـا وَإِنْ ذَكَرَتْهَـا الـنَّفْسُ لـمْ تَتَصَـابَرِ

١٢٩ وَكُنَّـا تَفَرَّقْنَـا كَأَيْـدِي سَـبَا سَـبَا عبَادِيـد شـتّى بـين ثـاوٍ وسـائِرِ

١٣٠ فمِـنْ بَـيْنِ ذِي بَـرٍّ يُحَـاوِلُ عَـوْدَةً عَلَـى بُدْنَـةٍ بَحْرِيَّـةٍ أَوْ مُجـاورِ

١٣١ وَآخَـرَ مِـنْهُمْ قَاصِـدًا نَحْـوَ جَـدَّةٍ لِيَرْكَـبَ هَـوْلَ الْبَحْـرِ وَالْمَـوْتِ جَاسِـرِ

١٣٢ وَجِئْنَـا إِلَـى بَحْـرٍ شَـدِيدٍ مَرَامُـهُ عَصِـيبٌ تَعَاطِيـهِ كَثِيـرُ المَخَـاطِرِ

١٣٣ أَدِيٌّ كَأَمْثَـالِ الجِبَـالَ أَدِيُّـهُ وَصَـوْتٍ كَأَمْثَـالِ الرُّعُـودِ الزَّمـاخِرِ

١٣٤ تَلاطَـمُ أَمْـوَاجٌ وَيَفْهقـنَ تَـارَةً وَيَفْغَـرنَ أَفْـوَاهَ اللّيـوثِ الفـوَاغرِ

١٣٥ يُسَـامِي كُبَيْـدَاتِ السَّـمَاءِ ارْتِفَاعُهَـا وَيَـنْحَطَّ يَهْـوِي فِـي قُعُـورِ الأَقَـاعِرِ

١٣٦ ركِبْنَـا وَوَدَّعْنَـا النَّجـاةَ بِجـدّةٍ علـى ذات ألـواحٍ بِغَيْـرِ دوَاسِـرِ

١٣٧ فمَـا أَجْهَـلَ الأَقْـوَامَ حِـينَ تَحَمَّلُـوا علـى ظهْـر لُجِـيٍّ غـويصِ المغـائِرِ

١٣٨ وَلَـنْ يَعْرِفَ المَـرْءُ المُجـرِّبُ ذُو النُّهَـا بنـزوة مـوج البحـرِ بلْـهَ الأغـامِرِ

١٣٩ فَلَمَّـا حَصَـلْنَا فِـي الجلائِـب واستوتْ بنـا الحـالُ أقلعنـا قـلاع الحصـائرِ

١٤٠ وصِـرْنا كـدودٍ فـوق عُـودٍ تقاذفـتْ بـه لجـجُ البحـرِ بلْـه الأغـامرِ

١٤١ قَنُطنـا وأَيِسْـنا النُّفـوسَ مِـنْ الَّتِـي تَسـرُّ وزالـت ترَّهـاتِ التَّهـاتُرِ

١٤٢ وَأَفْئِـدَةُ الحُجَّـاحِ طَاشَـتْ عُقُولُهـا فَصَـارَتْ هَـوَاءً مِـنْ جَمِيـعِ المخـاطِرِ

١٤٣ وَصَـارَتْ سَـمَاءُ اللَّـهِ فَـوْقَ رُؤُوسِـنَا كلُجَّـةِ بَحْـرٍ مُشْـرِف فَـوقَ آخـرِ

١٤٤ وَسَاءَتْظُنُونُ النَّاسِ مِنْ خَوْفِ مَا رأوا وَكَلَّـتْ رَوِّيَّـاتُ النُّفـوسِ البَواصـرِ

١٤٥ وَزَادَت يَقِينًـا كُـلَّ مَـنْ كَـانَ مُؤْمِنًـا وآمـن إيمانـا بهـا كـلُّ كـافرِ

١٤٦ وَصُـمْنَا إِلَـى الـرَّحْمَنِ مِـنْ غَيْـرِ نِيـةٍ وَأَفْطَرْنَـا قـيءً ذَرِيـعُ المَضـاجِرِ

١٤٧ وسـرنَا بـه يـومين ثـمّ تحرّكـت علينـا الرّيـاحُ الفاتحـاتُ المنـاخرِ

١٤٨ لقَـدْ أَنْـذَرَ الـرَّائِينَ فَضْـلاً بِهَوْلِـهِ علَـى الرّاكـبِ المـلاَّحِ بلْـهَ الخـاطرِ

١٤٩ إِذَا ضَـربَتْهُ مَوْجَـةٌ زَعْزَعَـتْ بِنَـا فَصَـكَّت بجنبَيْهـا كوقـع السّـواطِرِ

١٥٠ فحَطَّـمَ مِنْهَـا جَلْبَـةٌ فَتَحَطَّمَـتْ فَكَبَّـرَ أَهْلُهَـا بِكُـلِّ التكـابُرِ

١٥١ فَأَنْقَـذَنَا مِنْهَـا المَليـكُ بِفَضْـلِهِ وَأَلْهَمَنـا المعـروفَ خيـر الأوامـر

١٥٢ فلَـمْ يَـنْجُ مِنَّـا غَيْـر أَنـاسِ قلائـلِ عَلَـى ظَهْـرِ أَلْـوَاحِ عُـرَادِ المسـامرِ

١٥٣ إلـى اللهِ أَشْـكُو فَقْدَ مَنْ لَسْتُ وَاجِدًا لـهُ مـثلاً فـي سـائر الخلـق بـائرِ

١٥٤ وَلَهْفِي عَلَـى السَّـادَاتِ مِـنْ آلِ عَـامِرٍ ذَوِي المَجْـدِ والأَخطَـارِ مثـلَ الجـواهرِ

١٥٥ وُجُـوهُهُمُ مِثْـلُ الـدُّنَانِير زينـةً وَأَخْلاقُهُـمْ مِثْـلَ النّجـومِ الزَّواهـرِ

١٥٦ وَمِمَّـا شـجانِي وَاعْتَرَانِـي وَهَمَّنـي فبـتُّ بهـم فِـي الفـؤادِ مخـامرِ

١٥٧ مَصَـــارِعُهُمْ غَرقـــاً وَلَمَّـــا يُكَـــافِحُوا جِـــلادا بِحَـــدِّ المرهفـــاتِ البـــواترِ

١٥٨ لَـــئِنْ غَـــالَهُمْ رَيْـــبُ الزَّمَـــانِ بِصَـــرْفِهِ لَنَـــا الأثَـــرُ البـــاقي بحكـــم المقـــادِرِ

١٥٩ وقـــبلهم مـــا غـــالَ عَـــادًا وَجُرْهُمَـــا وَطِســـمًا وَعِمْلاقـــا وَرَبِّ السَّـــدائرِ

١٦٠ ســـأبكيهِمْ مَـــا عِشْـــتُ حَيًّـــا مُمتَّعًـــا وَأَنـــدُبهُمْ طُـــولَ اللَّيَـــالِي الغَـــوَابِرِ

١٦١ وأَرْثِهِـــمْ دَهْـــرِي وَأَنْشُـــرُ فَضْـــلَهُمْ رِيَـــاضَ المَعَـــانِي بِـــالقَوَافِي السَّـــوَائرِ

١٦٢ تسيرُ مسيرَ الشَّمْسِ فَـوق رؤوسنا ويعبِـــقُ رِيَّاهَـــا كَنَشْـــرِ المَجـــامِرِ

١٦٣ وتسـعدني الـوَرَقُ الحَمَـائِمُ بِالضُّـحَى وَأَسْـــعَدُهَا فِعْـــلَ الخَلِيـــلِ الْمُسَـــامِرِ

١٦٤ قلـــيلاً لصـــبّاح الصـــباح وخلّـــهِ أبـي الحـارث الفيـاض حـامي الأواخـرِ

١٦٥ أبـــا جلْهَـــمٍ أوْديـــتَ وابنُـــكَ جَلْهَـــمٌ وَغَـــادَرْتُمُ الـــدُّنْيَا خَـــلاءً لِغَـــادِرِ

١٦٦ وَغَيْـــرُهُم فيضـــاً وَإِنْ لَـــمْ أُسَـــمِّهِ فَـــإِنَّهُمُ مِثْـــلُ الـــدَّرَارِي الـــدَّوَائِرِ

١٦٧ قَضَـــا اللهُ مِنَّـــا بِالنَّجَـــاةِ لِمَـــنْ قَضَـــا لَـــهُ، وَاسْـــتَرَحْنَا فِـــي عَـــذَابِ البحَـــائِرِ

١٦٨ أَتَيْنَـــا رِجَـــالَاتِ البُجَـــا مِـــنْ حَـــذَارِبَ بِكُـــلِّ بُجـــاوٍ وَحَـــدْرَبِي غَـــدَائرِ

١٦٩ بصـــهب كأمثـــالِ الطُّيُـــورِ عَرِيقَـــة كَـــأنَّ بِهَـــا جِنّـــاً عِتَـــاقُ النَّجـــائِرِ

١٧٠ إِذَا مَـــا أَحَسَّـــتْ نَبْـــأَةً أَوْ تَوَهَمَـــتْ أصَـــاخَتْ وَطَـــارَتْ مثـــلَ غُبْـــرِ القنـــابرِ

١٧١ شَـــرَيْنَا وَسُـــمْنَا مَـــا اشْـــتَهَيْنَا رِكَابَنَـــا وَنَعْتَامُهَـــا مَـــا بَـــيْنَ جِـــذْعٍ وفـــاطرِ

١٧٢ وَجِئْنَـــا إلـــى قـــوصٍ وقـــوصُ خصـــيبة وقفْـــط وجنّـــةِ البُلِينَـــا الخـــواطرِ

١٧٣ بِهَا الخُوخُ وَالرُّمَّانُ وَالتُوتُ وَاسِعًا تخالُ بها البطيخَ صُمَّ الصوائرِ

١٧٤ وَجَدْنَا بِهَا شَادَ بْنَ سَرْحَانَ نازلاً عَلَى مَنْزِلِ الجُودِ الأعمِّ المُثابرِ

١٤٥ فتًى جَمَعَ اللهُ المَحَاسِنَ كُلَّهَا وَفَرَّقَهَا فِيهِ فغيرُ مُكابرِ

١٤٦ وَمِنْهَا إِلَى أَخميمَ ثمّتَ غرّبتْ فَسِرْنَا وَعَدَّيْنَا بِصُهْب شرائرِ

١٤٨ فَجَاءَ إِلَيْنَا طَارِقُ بْنُ وَتِيقَةٍ فَعُدْنَا بِهِ مِنْ عَادِياتِ الغشامرِ

١٤٩ وَجُزْنَا عَلَى أَرْضِ العَجُوزِ دلوكة زَمَاخِرَ مَسْخًا وهي أسحرَ ساحرِ

١٨٠ نزلْنَا على أسيوطَ وسْطَ خرابِها على الكُوم خوفا مِنْ مَحَلّ الجعافرِ

١٨١ بلادٌ بِهَا دَاسَتْ وَجاسَتْ لوّاتة خيارَ الدِّيَّارِ ثم جُندَ الجعافرِ

١٨٢ تَرَى الخَيْلَ أَسْرَابًا تَمُرّ مغيرةً رعيلاً رعيلاً موثّقَاتِ الحوافرِ

١٨٣ فمرَّ عَلَى آثَارِهَا مُتَغَشْمِرًا أخو المجدِ عباسٌّ بدَهْمِ العساكِرِ

١٨٤ فَفَرَّقَهَا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ تَفَرَّقَتْ عَسَاكِرُهُمْ شتّى شماطيط سامرِ

١٨٥ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فَوَارَسَ فِي الوَغَى مطاعينَ في الهيجا غياثَ المجاورِ

١٨٦ فَوَافَرَسَتْ فِي مَارِقِ الْحَرْب ويحهَا غُلامَيْنِ مِنْ كَرزا قِبَاحَ المناظرِ

١٨٧ فَطَابَ لَنَا مِنْهَا الرَّحِيلُ فَجئنا إِلَى أَرْضِ أَشْمُونِينَ طول المخاطرِ

١٨٨ وَمِنْ أَرْضِ أَشْمُونِينَ مَنَبَتْ خاصِبٍ ونهبسة الغايات للمُتباحرِ

١٨٩ تَرَى طَنْبَدَا مَغْرَاوَةَ دهيوط يمنةٌ وأيسرَنا مَيْدومُ عند البواصِرِ

١٩٠ ومـــن طنبـــدَا يُوشَـــا ومُنيـــةَ قائـــدٍ وكـــوم شْـــريك خلـــف مِصْـــرَ وقـــاهِرِ

١٩١ وجُزْنَـــا عَلَـــى أَرْضِ البحيـــرة ترتمـــي تســـير علـــى العِـــلاّتِ مثـــلَ النّـــواعِرِ

١٩٢ منـــــارةُ ذي القـــــرنين أســـــكندريةُ هنـــاكَ مَنَـــاخُ العـيس فـي شـهر نـاجرِ

١٩٣ إِلَـــى لاحِـــبٍ رَحْـــبٍ كَـــأن نباتَـــهُ خُطُـــوطُ بِجـــادٍ وَاضِـــحَاتِ المنـــابرِ

١٩٤ بِـــدِيرِ النَّصَـــارَى كـــان أوّلَ ليلـــةٍ مَنـــاَخُ مبيـــتِ الرّاكـــبِ المتتـــاورِ

١٩٥ قواصِـــدَ حَمَّـــام وســـمَامَةَ الـــدَوِّى وســـاحِلها والأبْتَـــر المتبـــاحِرِ

١٩٦ تَمُـــدُّ بِأَيْـــدِيهَا يَمِينًـــا وَشَـــأمَةً لَهَـــا أَمْرُهَـــا فِـــي الرَّحْـــيِ لَـــمْ تتقَـــاطر

١٩٧ يُوَاصِـــلْنَ مَـــا بَـــيْنَ العُقَـــابِ وَلَبَـــةٍ يُـــوَاهِقْنَ بِالحُجّـــاجِ قَـــدْحَ السِّـــوَارِ

١٩٨ تَـــرَاءَتْ لَنَـــا شَـــمَاسُ بَعْـــدَ رُمَّـــادَةٍ خَرَائِـــبُ قَـــوْمٍ كَالرُّسُـــومِ الـــدّوائرِ

١٩٩ هُنَـــاكَ اخْتَلَفْنَـــا وَاشْـــتَجَرْنَا فبعضُـــنا يريـــدُ بنـــا لُكـــاً يَمِـــينَ الخناصِـــرِ

٢٠٠ وآخـرُ يبغـي صـوب يسـرى ومَوْرَهـا يَحِيـدُ عَلَـى الهـلاكِ خَـوْفَ القَوَاشِـرِ

٢٠١ فَلِلَّـــهِ الأَمْـــرُ قَبْـــلَ هَـــذَا وَبَعْـــدَهُ وَلَـــنْ يَعْـرِفَ الإِنْسَـانُ وَجْـهَ الْمخـائرِ

٢٠٢ وَأُبْنَـــا وَأَلْقَيْنَـــا إِلَـــى اللهِ رَغْبَـــةً لِيَهْـــدِينَا قَصْـــدَ السَّـــبِيلِ وَجـــائر

٢٠٣ فمِلْنَـــا إِلَـــى اليُسْـــرَى فَيسّـــرَ أمرَنـــا وَأَصْـــبَحَ عَـــوْنُ اللهِ لِلْمُتياسِـــرِ

٢٠٤ فحِـــدْنَا وَخَلَّفْنَـــا سُـــلَيْما بِجُـــزَةٍ وَلَمَّـــا ننُبـــالِ عَـــنْ سُـليم بـن ناضـرِ

٢٠٥ إِلَـــى أَرْضِ مَيْمُـــونِ السَّـــحَابِ وَزُلْغُـــفِ وَلَحْـــفٍ وَزَبُـــورٍ وَشَـــاسٍ وَشَاصِـــرِ

٢٠٦ وآسٍ ولاسٍ وابــن الأعــركِ والفتــى ... مـن النفَرِ المـذكور عمـرو بـن جابرِ

٢٠٧ أولئـك إِخْـوَانُ الصَّـفَا لِمَـنْ بَغَـى السْـ ... سَـلامَةَ مِـنْهُمْ أَوْ هَنَـاتَ بـنُ طَـامِرِ

٢٠٨ لَقَفْزَةُ شَـخْصٍ وَسْـطَ فَحْـمٍ أَحَـبُّ مِـنْ ... شـفاعةِ ألـفٍ مـن غَفِيـرٍ وَخـافِرِ

٢٠٩ وَسِـرْنَا مِـنْ الأَحْبَـابِ أَسْـبُوعَ جُمْعَـةٍ ... وَكُنَّـا اسْـتَقَيْنَا مِـنْ مِيَـاهِ النَّمَـائِرِ

٢١٠ وَغَبَّـت فَغَيَّنْنـا إِلَـى سَـنْتَرِيَّةٍ ... فَعَادَتْ رُؤُوسِ الصُّهْبِ سُلْبِ الهياشِرِ

٢١١ هُنَـاكَ قَطَعْنَـا صَـوْبَ عَـرْضٍ طَرِيقَنَـا ... إِلَـى أَنْ وَرَدْنَـا مَـاءَ بِئْـرِ الْمُكَاسِـرِ

٢١٢ وَدُسْـنَا تَبَـارَى مَثْـلَ أَوَّلَ مَـرَّةٍ ... وَكَانَـتْ لِأَهْـلِ الْحَـزْمِ إِحْـدَى الشَّـخَائِرِ

٢١٣ وَكُنَّـا بِحَمْـدِ اللهِ أَكْثَـرَ نَاصِـرًا ... عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْحَالِ أَصْغَرُ صَاغِرِ

٢١٤ علَـى أَن بِئـرَ ابْـنِ الْمُكَسَّـرِ هَزَّنَـا ... فَمَشَّـى الْبُطُـونَ بِالسَّـلَاحِ الْمُغَـادِرِ

٢١٥ إِذَا مَـا مَشَـى مَـاشٍ تَقَـاعَسَ ظهـرُهُ ... وَصَـارَ طِـوَالَ النَّـاسِ مِثْـلَ الجعـادِرِ

٢١٦ فَلَمَّـا وَرَدْنَـا مَـاءَ زَيْـدَانَ قَلَصَـتْ ... بُطُـونَ بَنِـي تَـادًا ذَوَاتَ المَجَـاعِرِ

٢١٧ ....

٢١٨ ....

٢١٩ ....

٢٢٠ وَفَـرَّجَ عَنَّـا كُـلَّ هَـمٍّ وَغمّـة ... دُرَا زَلَـةٍ ذَاتِ العيـون المـوائرِ

٢٢١ فَلَمَّـا وَطِئْنَـا أَرْضَ زَلْـةَ أَفْرَجَـتْ ... بِأَرْوَاعِنَـا كُـلِّ الْهُمُـومِ السَّـوَاهِرِ

٢٢٢ شَـمَمْنَا بِهَـا أَرْوَاحَ مَغْرِبَنَـا الَّتِـي تُحَـاكِي مِـنَ الأَرْوَاحِ ثُـمَّ الـدَّرَائِرِ

٢٢٣ هنـاك اخْتَلَفْنَـا مِثْـلَ أَوَّلِ مَـرَّةٍ فَـبَعْضٌ إِلَـى وُدّان فَـالبَعْضُ آدَرِ

٢٢٤ وَمِنَّـا أنـاسٌ أَصْـلَحَ اللهُ حالَنَـا وَحَـالَهُم أَهْـلَ الـرُّؤوس الأكـابِرِ

٢٢٥ تُنَـازِعُهُمْ أَرْوَاحَهُـمْ كُـلَّ آفَـةٍ وَيَـأْبَوْنَ إِلَّا دَامِـرات المَـدامِر

٢٢٦ وَكَـانُوا اسْـتَقَالُوا فِـي تَبَـارَى تَبَـارِهِمْ وَسَـلَّمَهُمْ مِنْهَـا دَلِيـلُ المخـابِر

٢٢٧ وقُـلْ أنـت فـي الـدُّنْيَا يَمِـينُ يَسَـارِهَا وَيُسْـرَى كَيْمَنَاهَـا بِعَكْـسِ التَّصَـابُرِ

٢٢٨ وصـرنا إلـى اليُسْـرَى كَـأَوَّل مَـرَّةٍ وَكَـانَ بِحَمْـدِ اللَّـهِ أَيْسَـرُ يَاسِـرِ

٢٢٩ وَحُزْنَـا عَلَـى الْهـارُوجِ ثَـانِي مـرّةٍ وَقَـدْ أَعْقَبَتنَـا مُعْصِـرَاتِ الصَّـبائر

٢٣٠ وأمْـرَعَ مِـنْ قِيعَانِهَـا كُـلَّ جَانِـبٍ فَجَادَ عَلَى الطُّهْرِ الضعيفِ المحاسرِ

٢٣١ وفِـي جَبَـلِ الْهَـارُوحِ لِلنَّـاسِ آيَـةٌ لَـهُ مَنْظَـرٌ كَـالبَحْرِ ثُـمَّ الْمَنَـاظِرِ

٢٣٢ وَمَخبَـارَةٌ مِثْـلَ القُـرَى حِـينَ دُمِّـرَتْ وَأَهْلَكَهَـا الْجَبَّـارُ شَـرّ الْمَخَـابِرِ

٢٣٣ فيـا منـزل العبّـادِ أَصْـبَحْتَ مُوحِشًـا وَجَـرَّ عَلَيْـكَ الـدَّهْرُ ذَيْـلَ الأَعاصِـرِ

٢٣٤ وَأَصْـبَحَ أَهْلُـكَ الَّـذِينَ تتَـابَعُوا كَـأَحْلَامِ نَـوْمٍ بَـلْ كَآثَـارِ عَـابِرِ

٢٣٥ تَرَكْنَـاكَ يَـا وُدَّان شَـامًا مُغَرِّبًـا وَطِبْنَـا نُفُوسًـا عَـنْ ثِمَـارِ التَّسَـافِرِ

٢٣٦ وَلَكِـنْ مِـنْ يَوْنَسَـةٍ عَرَّجَـتْ بِنَـا إِلَـى تَمْـزَا وَادي الكُفُـورِ الكَـوَافِرِ

٢٣٧ إلـى صـوب درج ثـمّ أرضِ غـدامسِ مُفَـوِّزَ وَبَـاغٍ كُـلِّ أَرْضٍ وَنَـادِرِ

٢٣٨ إلَـــى بَلْـــدَتَيْنِ بَلْـــدَةٍ مِثْـــل جنّـــةٍ وأخـرى كمثْـلِ النّـارِ ذاتِ المسـاعرِ

٢٣٩ حَلَلْنَـا بِـوَادِ الْخُبْـزِ وَاللَّحْـمِ وَالْقِـرَى بِهَـاتَ وَهَاتَـا بِالصَّـحَارِي الْمَنَـاكِرِ

٢٤٠ جَزَى اللَّـهُ عَنَّا وَارِجْلانَ خَيْرَ مَا جَزَى بـهِ بَلَـدًا عَـنْ طَالِـبِ الْخَيْـرِ مَـائِرِ

٢٤١ فَهُـوَ جَنَّـةُ الـدُّنْيَا وَأَبْـوَابُ مَكَّـةً وَمَعْـدِنُ تيْـرِ غانَـةَ بالـدنانيرِ

٢٤٢ فَمَنْ كَانَ يَبْغِي الحَجَّ فَلْيَأْتِ وَارجَلان يَجِـدْ سُـبْلَهَا رَحبًـا وَخَفْـرَةَ خَـافِرِ

٢٤٣ مِـنَ الضّـجِّ وَالـرِّيحِ اللَّـذَانِ هُمَـا هُمَـا هِـيَ الغَايَـةُ القُصْـوَى لِجـارِ مُجـاوِرِ

٢٤٤ وَإِنْـسِ وَجَـانٍ ثُـمَّ فِتْيَـانِ لَمْطَـة إِلَـى بَـابِ مِصْـرَ حَسْـبٌ غَيْـرَ مُفَـاخِرِ

٢٤٥ فَـإِنْ حَـجَّ قَـوْمُ الغَـرْبِ مِـنْ بَعْـدِ هَـذِهِ يَحُـجُّ جَمِيـعُ النَّـاسِ بَـرٌّ وفـاجِرِ

٢٤٦ هُمَامًا هُمَا كَالشَّمْسِ وَالبَدْرِ فِي الوَرَى هُـوَ ابْـنُ عَقِيـلٍ وَالفَتَـى ابـنَ الأَحَـامِرِ

٢٤٧ فَأَمَّـا أَخـو الخَيْـرَاتِ نَصْـرُ بْـنُ تَغْلِـب فَكَالشّـمسِ فِـي الـدُّنْيَا وَأَنْهَـرُ بَـاهِرِ

٢٤٨ وَأَمَّـا أَخـو الحنّـانِ فَالْبَـدْرُ كَـامِلاً فَـإِنْ عَـادَ شَمْسًـا فَهُـوَ أَجْـدَرُ جَـادِرِ

٢٤٩ وَذَاكَ إِلَيْـــهِ وَالجَـــوَادُ تَعُـــدُّهُ وَلَا عُـذْرَ والأبـاءُ طيـبَ المخـابِرِ

٢٥٠ فَأَمَّـا شَـجَاعٌ فَهُـوَ أَشْـجَعُ مَـنْ مَشَـى عَلَـى الْأَرْضِ بَعْـدَ الْأَسْـجَعِينَ العناتِرِ

٢٥١ فَسُـقيا لحـاج الغـرب حيـث توجهـوا وبـخ بـخ بهـم مـن عبقـرِ والعبـاقِرِ

٢٥٢ إلـى اللهِ أَشْـكُو طُـولَ هَمِّـي وَغَمَّتـي وَبَثِّـي وَحُزْنِـي مِـنْ أُمُـورٍ شَـوَاجِرِ

٢٥٣ أَرَاهَـا تَـدَانَتْ وَاسْـتَرَابَتْ وَأَقْبَلَـتْ بِهَـوْلِ عَظِـيمٍ بَعْـدَ هَـوْلٍ وَآخَـر

٢٥٤ ثلاثــةُ أَهْــوَالٍ أَطَــلَّ زَمَانُهــا عَلَيْنَــا وَحَاقَــــتْ بِالـــــدَّوَاهِي الْفَـــــوَاقِرِ

٢٥٥ بطُبنـــــةٍ مِـــنْهُمْ قَـــائِمٌ مُتَشَـــمِّرٌ تُلُـــوحُ مَبَادِيـــهِ وَيَسْـــمَى بِطَـــاهِرِ

٢٥٦ وَآخَــرَ فِــي أَشْــرَافِ حَسَّــانِ قَــائِمٌ يُسَـــمَّى بِحَسَـــانٍ وَلَـــيْسَ بِثَـــائِرِ

٢٥٧ عَلَــى أَشْــقَرٍ نَهْــدِ المراكــلِ أخيَــفٍ بيـــدُ جَمِيـــعَ السَّـــابِقِينَ الأَشَـــاقِرِ

٢٥٨ لَــهُ غُــرَّةٌ سَــالَتْ عَلَــى نِصْــفِ وَجْهِــهِ وَعَــيْنٌ لَــهُ زَرْقَــاء وَكَحْــلاء لِنَــاظِرِ

٢٥٩ فَــبَعْضٌ يَقُــولُ أَبْــيَضُ اللَّــوْنِ نَاصِــعٌ سَــلِيمُ الشَّــظَا عَبْــلُ الشَّــوَاجِدِ وَافِــرِ

٢٦٠ وَيَحْفِــرُ فِــي الْأَرْضِ الفَضَــاءِ بِسُــنبُكٍ فَيُفْجِّـــرُ مِنْهَـــا المَـــاءَ لِلمُتَفَـــاجِرِ

٢٦١ هُنَــاكَ تَفَانَــا النَّــاس حَتَّــى فَنُــوا بِهَــا وَأَمَّـــتْ نِسَـــاء كَـــالْجَرَادِ النَّوَاشِـــرِ

٢٦٢ كَــأَنْ رُؤُوسَ النَّــاسِ أَحْجَــارُ حَــرَّةٍ وَأَجسَــادُهُمْ مِثْــلَ الْجُــذوعِ الْأَقَــاعِرِ

٢٦٣ وَأَعْظَــمُ مِــن هَــذَا وَذَاكُــم وَذَلِكُــم عَسَــاكِرُ أَهْــلِ الغَــرْبِ ذَاتِ الْمُبَاشِــرِ

٢٦٥ تُغَطَّــي وُجُــوهَ الْأَرْضِ حَيْــثُ تَوَجَّهَــتْ كمِثْــلِ الصَّــبَابِ ذِي الْحَبَــا الْمُتَــوَاتِرِ

٢٦٦ تُبِيــدُ رِجَــالاً ثُــمَّ تَسْــبِي حَرِيمَهَــا فَتَغْــنمُ أَمْــوَالاً وَعَــافِي الْمَضَــامِرِ

٢٦٧ إِذَا وَطِئُــوا قَوْمًــا أُبِيــدَتْ جُمُــوعُهُمْ وَلَــنْ يَنْفَــعَ الْمَوْطِــأَ شَــدُّ الجبــائِرِ

٢٦٨ لهــم وقعــةٌ فــجَّ الرِّمــاحِ شَــنِيعَةٌ وَأُخْــرَى يُبَــاغِي وَذَاتِ الْمَعَاصِــرِ

٢٦٩ وَيَــأْتِي لِــلأَرْضِ القَيْــرَوَانِ مُحَاصِــرًا وَيَهْــزِمُ فِيهَــا الــرُّومَ ذَاتِ التَّصَــاوِرِ

٢٧٠ يُقِــيمُ عَلَــى المَهْدِيَّــةِ العَــامَ كَــامِلاً وَشَـــهْرَيْنِ وَأَسْـــقِلِيَة المتَنَاصِـــرِ

٢٧١ ويـــأتي لمصـــر كـــالعَرُوسِ تَزينـــت تُشـــيرُ بِوَجْـــهِ مِثْـــلَ وَجْـــهِ المَـــوَاجِرِ

٢٧٢ يَـــزُورُ ويَعْلُـــو قَائِمًـــا قَبْـــرَ جـــدِّهِ عَلَـــى مَنبـــر الحـــرمين خيـــر المنـــابرِ

٢٧٣ ويخـــرّب بلـــدان العـــراق وَأَهْلَهَـــا وَيَتْـــرُكُ بَغْـــدَادًا وَلَـــيْسَ بِعَـــامِرِ

٢٧٤ ويَخْسِـفُ فِـي أَرْضِ العِـرَاقِ بِمَعْشَـرٍ وَلَيْسَـتْ بِـدَارٍ أَيهُـمْ مِـنْ مَعَاشِـرِ

٢٧٥ خَـــلا أَنَّهُـــمْ قَـــالُوا إِمَـــامٌ مُضَـــلَّلٌ مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ صَاخِرِ

٢٧٦ وَسَـارَ إِلَـى أَرْضِ الْمَوْصِـل ويَلْبُـود إِلَـى ابـن قَـيّمِ الدَّوْلَـةِ المُتظَـافِرِ

٢٧٧ يُعَـارِكُهُمْ فِـي الحَـرْبِ ثُـمَّ تَعَـارَكُوا وَلَـمْ يَفْلَـتِ الغَرْبِـيُّ إِلَّا بِنَـادِرِ

٢٧٨ هنـــاكَ أَتَـــى الـــدَّجَّالُ يَـــزْعُمُ أَنَّـــهُ إِلَـهُ الـوَرَى أَحْهِـلِ بِـهِ فِـي الأَعـاوِرِ

٢٧٩ ويُـوجزهُ عِيسَـى بْـنَ مَـرْيَمَ حَرْبَـةً بِجانـبِ لُـز طعنـة فـي المنـاحرِ

٢٨٠ وَيَـاجُوجُ أَفْوَاجًـا وَمَـاجُوجُ بَعْـدَهُمْ يَسُـومُونَ هَـذَا الخَلْـقَ سُـوءَ المنـابر

٢٨١ وَمِنْ بَعْدِ هَذَا مَوْتُ عِيسى بن مريمَ وَنَفْحَة صَعْقَ الخَلْقِ فِي صُورٍ صَائِرِ

٢٨٢ وَلَـوْ أَنَّنِـي اسْتَقْصَـيْتُ شَـرْحَ بَيَانِهَـا لَقَصَّـرَ عَنْهَـا شَـأْوُ كُـلِّ الـدَّفَاتِرِ

٢٨٣ لإِنْ نَزَرَتْنِـــي بـــالقوافي قَصِـــيدَتِي فَمِـنْ قَبْلِهَـا أَحْكَمْـتُ حَـوْكَ النَّـوَازِرِ

٢٨٤ وَسَـانَيْتُ وَاسْـتَخْفَيْتُ كُـلِّ غَرِيبَـةٍ ورُضْـتُ صـعابَ المنكـراتِ النّـوافرِ

٢٨٥ وجنّبْـتُ مـا يُعنَـى الحليـمُ بمثلـهِ سِـنَادًا وَإِقْـوَاء وَإِيطَـاءَ حَـائِرِ

٢٨٦ وَعَيْبًـا مُعابًـا والزّحافـاتِ كلّهـا سـوَى فلتَـاتٍ مثلُهَـا غَيْـرَ ضَـائِرِ

٢٨٧ فمَـنْ شَـاءَ فَلْيَنْظُـرْ إِلَيهَـا مَجعُوطًـا بِمقلـــةِ ودٍّ أو بمـــقلةِ شـــازِرِ

٢٨٨ يَجِـدْ وزْنَهَـا وَزْنًـا وَحُسْـنَ بَيَانِهَـا بَيَانًـا وَإِعْـرابَ الغريـبِ بْـنِ عـامرِ

٢٨٩ أَلا هَـلْ فَتًـى يَحْـدُو ويُنشِـدُ مِثْلَهَـا فَيَكْفِـي وَيَشْـفِي غَـوضَ جَبْـرٍ لِكَاسِـرِ

٢٩٠ عَلَـــى أَنْ أَوْلَادَ الرِّجَـــالِ كَثِيـــرَةٌ وَقَـدْ أَنْجَبَـتْ رُودُ الغَـوانِي الغَـوَادِرِ

٢٩١ وبهـوٍ عَلَـي قَـدْ أَنْعَـشَ اللَّـهُ جَـدَّهُ بِـتَعْسِ كَـلَام خَـامِرِي أَمّ عَـامِرِ

٢٩٢ ومخطيـــة إِلَّادَةٍ مَـــا بَـــلادَةٍ فَتًـى مَـا لِلإِخْـرَاجِ الْمَعَـانِي الْمُسَـاتِرِ

٢٩٣ وشـــهرةٌ مُغْنِيَـــةٌ عَـــنْ دِلالَـــةٍ عَلَيْـهِ أَجَـلْ مَـا حِيلَتِـي فـي الأنـاقِرِ

٢٩٤ فَمَـا أَبْـينَ الصُّـبْحَ الْمُنِيـرَ إِذَا بَـدَا سـنَاهُ لِـذِي عَيْنَـيْنِ غَيْـرَ مُكَـابِرِ

٢٩٥ إِذَا كَـانَ يَـوْمُ الْمُلْتَقَـى فَبَـدَا لَهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ مَـا لَـمْ يَحْتَسِـبْ كُـلُّ سَاحِرِ

٢٩٦ هُنَالِـكَ إِبـراهيمُ خَيْـرُ مُشـفَعٍّ وَقَـدْ خُيِّـبَ الْمُسْتَشْـفِعُونَ بِـآزرِ

٢٩٧ فَـذَاكَ قِيـاسُ الأَمْـرِ بِـالأَمْرِ ذَا بَـدَا قِيـاسُ الأُمُـورِ بِـالْأُمُورِ النظـائرِ

٢٩٨ فسـمّ نَبَـا مَيْهَـا رُبـا ذَاكُـمْ اسْـمُهُ عَلَـى القَلْـبِ وَالمُكَنَّـا أَحَـافِ كَظَـاهِرِ

٢٩٩ أبي من بني برّ بن قيس بن عاصم وجدِّ جدودي قيس عيلان بن آصرِ

٣٠٠ وَوَالِـدَتِي مِـنْ حَـدِّ غَسَّـانٍ نَسْـبُهَا وَكَـان أبوهـا صَـالِحًا غَيْـرَ خاسِـرِ

٣٠١ وَمَـا ضَـرَّنِي مَـا فَـاتَنِي بَعْـدُ نِسْـبَتِي خَـلَا الشَّـرفَاء مِـنْ قُـرَيشٍ وَعَـامِرِ

٣٠٢ إِذَا افْتَخَـرَ الأَقْـوَامُ يَوْمًـا بِفَخْـرِهِمْ فَـنَحْنُ بِـهِ أَوْلَـى بِعِلْـمِ الجَمَـاهِرِ

٣٠٣ وَإِنْ فَخَـرُوا بِالْمَجْـدِ وَالْحَمْـدِ وَالنَّـدَا ... يُشِـيرُونَ يَوْمًـا نحْوَنَـا بِالشَّـنَاتِرِ

٣٠٤ لَنَـا هِمَّـةٌ تَعْلُـوا عَلَـى كُـلِّ هِمَّـةٍ ... وَأَمْوَالُنَـا تُـوفِي عَلَـى كُـلِّ دَائِـرِ

٣٠٥ وَلَا جُـودَ فِـي الـدُّنْيَا لِمَـنْ قَـلَّ مَالُـهُ ... وَلَا مَـالَ إِلَّا مَـا أَتَـى بِالمتَـاجِرِ

٣٠٦ وَيَفْتَخِـر الأَقْـوَامُ) بِالْمَـالِ وَالنَّـدَا ... وَقَـدْ سَـرَقُوهَا مِـنْ جَمِيـعِ الْمَحَاضِـرِ

٣٠٧ كَفَخْـرِ البَغَايَـا يَـوْمَ عُـرْسٍ وَحُلَّـةٍ ... بِحلْيَـةِ رَبَّـاتِ الإمَـاءِ العَـوَاهِرِ

٣٠٩ وَلَنْ يَكْسِبَ المالَ الحَلالَ سِوَى امْرِئٍ ... يَجُـوبُ الـبِلادَ نَحْـوَ غَانَـةً صَـابِرِ

٣١٠ وَلَـيْسَ يَهَـابُ الحَـرَّ وَالقَـرَّ وَالنّـوى ... وَلَا الشَّـمْسَ وَالظُّلْمَـاءَ ذَاتِ الـدَّيَاجِرِ

٣١١ وَيَسْتَحْشِـنُ المَوْطِـأ إِذَا لَانَ مَسُّـهُ ... وَيَهْجِـرُ رَبَّـاتِ الحِجَـالِ المَعَـادِرِ

٣١٢ وَيَسْتَصْغِرُ الأَهْوَالَ مِنْ حَيْثُ أَقْبَلَتْ ... وَلَـوْ أَنَّهَـا أَمْثَـالُ وَخْـزِ الخنَـاجِرِ

٣١٣ عَفِيفٌ عَنِ الْفَحْشَا كَرِيمٌ عَنِ الخَنَا ... صَبُورٌ عَلَى البَلْوَى حَمِيدٌ التَّعَاشُرِ

٣١٤ وعادتُنَـا الإِحْسَـانُ لِلنَّـاسِ كُلِّهِـمْ ... وَعَـادَتُهُمْ فينَـا قبـيح المَصَـادِرِ

٣١٥ فَـدونَكُمُوهَا مِثْـلَ عِقْـدٍ مُـنظّمٍ ... مِـنَ الـدُّرِّ وَاليَـاقُوتِ صـافي الجـواهرِ

٣١٦ تلـوحُ قَوَافِيهَـا بِحُسْـنِ بَيَانِهَـا ... وَحُسْـنِ مَعَانِيهَـا كوَشْـي الجَبَـائِرِ

٣١٧ وأنشـدها بِكْـرًا إِذَا مَـا تَنَاشَـدَتْ ... تَصِيخُ لَهَا الْأَسْمَاعُ مِنْ كُلِّ شَاعِرِ

٣١٨ ويغـلاَ لهـا مهـرٌ ويُعْـرَفُ فَضْـلُها ... وتُعْطَـى مِـنَ الْخُطَّـابِ أَفْضَـلَ مَـاهِرِ

٣١٩ علَـى أَنَنِـي قَـدْ قُلْتُهَـا مِـنْ قَصِـيدَةٍ ... وَقَلْبِـي مَشْـغُولٌ وَهَمِّـي وَخَـاطِرِ

٣٢٠ بِحِـــلٍّ وَتِرْحَـــالٍ وَطُـــولِ مَشَقَّـــةٍ وَشُـقَةِ بُعـدي عَـنْ بَنِـيَّ الأَصَـاغِرِ

٣٢١ وَتِـذْكَارِ أَهْلِـي طَـالَ نَـأْيِي عَـنْهُمُ وَأَرْحَـامُ قُرْبِـى مِـنْ أَهَـالِي الأَوَاصِـرِ

٣٢٢ وإخـوان صـدقٍ فـي الملمّـات كلِّهـا هم ناصري فـي الأمر يـوم التناصُرِ

٣٢٣ وَفَقْـرِي وَوَقْـرِي وَانْتِكَاسِـي وَشَـيْبَتِي وَتَوْدِيـعِ أَيَّـامِ الـصِبَى وَالخَـوَافِـرِ

٣٢٤ وَرَوَعَـاتِ هَـوْلِ الْمَـوْتِ يَـوْمَ نُزُولِـهِ يُـرَى الْمَـرْءُ سَـكْرَانًا وَلَـيْسَ بِسَـاكِرِ

٣٢٥ إِذا مـا أَتَـى يَـومٌ فَلَـيْسَ يَـرُدُّهُ حِجَـابٌ وَلَا بَـابٌ وَلَا سُـورُ قَـاهِرِ

٣٢٦ تـزود مـن الـدُّنْيَا فَإِنَّـكَ رَاحِـلٌ وَآثِـرْ هُـدَاكَ عَـنْ عَمَـاكَ وَبَـادِرِ

٣٢٧ فَعَمَّـا قَلِيـلٍ سَـوْفَ تُجْعَـلُ فِـي الثَّـرَى وَتَـدْخُلُ فِـي أَطْبَـاقِ أَرْضِ الْمَقَـابِرِ

٣٢٨ صـريعا علـى الجنبـيْنِ غَيْـرَ مُوسَّـدٍ لَفِيفًـا بأهـدامِ الحتيـفِ الخنـافِرِ

٣٢٩ فَرِيـدًا وَحِيـدًا سَـاكِنَا قَعْـرَ حُفْـرَةٍ بَعِيـدًا عـن الخـلاّن والمتـزاورِ

٣٣٠ سَـنيحًا وَسَـالَتْ حَـدْقَنَا عَـيْنِ رَأْسِـهِ عَلَـى وَجنتَيْـهِ بَـلْ صَـدِيدُ المَنـاخِرِ

٣٣١ وَصَـارَ مَقِيـلُ الـدُّودِ فِـي لَحْـمِ جسْـمِهِ وَفُـوهُ مَـلاءٌ بـالترابِ المباشـرِ

٣٣٢ وَأَوْحَـشَ رَائِيـهِ وَحَالَـتْ بِجُمْلَـةٍ مَحَاسِـنُهُ خُبْـرًا وَسَـبْرًا لِخـابرِ

٣٣٣ فَيَـنْفُخُ إِسْـرَافِيلُ فِـي الصُّـورِ نَفْخَـةً بِصَـخْرَةِ بَيْـتِ القُـدْسِ ذَاتِ الخَطَـائِرِ

٣٣٤ دَعَـاهُمْ فَلَبُـوا وَاسْـتَجَابُوا بِحَمْـدِهِ وَبُعْثِـرَ أَصْـحَابُ القُبُـورِ الحفَـائِرِ

٣٣٥ فَقَـامُوا جَمِيعًـا مُسْـتَحِيبِينَ خُشَّـعًا حيَـارَى كِسَـارَا نَحْـوَ أَرْضِ الْمَحَاشِـرِ

٣٣٦ فَإِمَّـــا إِلَـــى نَـــارٍ وَإِمَّـــا لِجَنَّـــةٍ أَعُـــوذُ بِوَجْـــهِ اللَّـــه رَبِّـــي وَفَـــاطِرِ

٣٣٧ مِـنَ النَّـارِ إِنَّ النَّـارَ أَعْظَـم حَسْـرَةً وَأَسْـأَلُهُ جَنَّـاتِ عَـدْنٍ الْمَجـاوِر

٣٣٨ أَرَى أَحْرُفًـا مَسْـطُورَةٌ فِـي مَفَـارِقِي بِخَـــطِّ إِلهِـــي قَـــويمِ المَســـاطِرِ

٣٣٩ فَقُلْـــتُ أَقْـــرَؤُوا قُرْآنَهَـــا وَتَبَيَّنُـــوا فَقَـــالُوا قُرْآنَهَـــا نَـــذِيرُ النّـــذَائِرِ

٣٤٠ رحيلـــي مِـــنَ الـــدُّنْيَا لِيَـــوْمِ إِقَـــامَتِي وَيَـــوْمٍ عَبُـــوسٍ فَمُطَرِيـــرِ القَمَـــاطِرِ

٣٤١ تَشِـيبُ لَهَـا الوِلْـدَانُ شَـيْباً لِهَوْلِـهِ وَتَـذْهَلُ فِيـهِ مُرْضِـعَاتُ الصَّـغَائِرِ

٣٤٢ وَقَـــدْ أَذِنَ اللهُ العِبَـــادِ لِهَوْلِـــهِ وَحَـذَّرهُمْ مِنْـهُ فَهَـلْ مِـنْ مُحَـاذِرِ

٣٤٣ لِيَـــوْمٍ يَقُـــولُ اللَّـــهُ فِيـــهِ لِخَلْقِـــهِ مَعَـا لِمَـنِ الْمُلْـكُ اسْـمَعُوا لِلتَّحَـاوِرِ

٣٤٤ فَقَـــالَ مُجيبًـــا هُـــوَ اللهِ وَحْـــدَهُ هـــوَ الوَاحِـــدُ القَهَّـــارُ رَبُّ الجَبَـــابِرِ

٣٤٥ فَيا لَهْفَ نَفْسِي عَنْ مَقَامِي وَمَوقِفِي غَـدَاءَ بِهَـا إِنْ لَـمْ أَقِـرَّ لَـمْ أَغَـادِر

٣٤٦ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ لَا كَيْفَ حِيلَتِي إِذَا أُوبِقَـــــتْ أَوْزَارَهُ كُـــــلِّ وَازِرِ

٣٤٧ ويـا لهـف نفسـي كيـف ذلـي وحيرتـي إِذَا قِيـــلَ تَقَـــدَّمَ لِلحِســـاب ونـــاظِرِ

٣٤٨ ويـا لَهْـفَ نَفْسِـي كَيْـفَ ذُلِّـي وَخجلتـي إِذَا قِيـلَ هَـذَا يُوسُـفُ غَيْـرُ شَـاكِرِ

٣٤٩ ويـا لَهْـفَ نَفْسِـي كَيْـفَ ذُلِّـي وَحسرتي لِفَصْلِ القَضَـاءِ فِـي يَوْمِ مُـوفٍ وَغَـادِرِ

٣٥٠ ويـا لَهْـفَ نَفْسِـي كَيْـفَ ذُلِّـي وَحسرتي إِذَا أَفْضَـحَتْنِي فِـي الْحِسَـابِ سَـرَائِر

٣٥١ ويـا لَهْـفَ نَفْسِـي كَيْـفَ ذُلِّـي وَحسرتي إِذَا أُبْـتُ مَغْبُونَـا بِصَـفْقَةِ خاسِـرِ

٣٥٢ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا جَاءَنِي أَمْرٌ بِسَطْوَةِ قَاهِرِ

٣٥٣ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا مَا جثَوْا لِلرُّكَبِ ثُمَّ الكَرَاكِرِ

٣٥٤ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا جاءني عَدْلٌ وَلَيْسَ بِجائِرِ

٣٥٥ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا لَمْ أَسَامَحَ فِي نَقيرِ النَّقَائِرِ

٣٥٦ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلايَ لَيْسَ بِعَاذِرِ

٣٥٧ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا كُلِحَ الوَجْهُ العظيمُ المشافِرِ

٣٥٨ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا اسْوَدَّ وَجْهِي فِي الوُجُوهِ البَوَاسِرِ

٣٥٩ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا كَانَ سَهْمِي خَائباً غَيْرَ قَامِرِ

٣٦٠ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا كَانَ سَعْيِي فِي المَساعِي الخَوَاسِرِ

٣٦١ ويا لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ ذُلِّي وَحسرتي إِذَا فَازَ إِخْوَانِي وَلَم يَرْدَ سَائِرِ

٣٦٢ خَرَجْنَا إِلَى الدُّنْيَا بِغَيْرِ مَشُورَة وكُلِّفنَا فِيهَا وَلَمَّا نُشَاوِرِ

٣٦٣ وَذُقْنَا تَكَالِيفَ الْمَشَقَّةِ بُرْهَةً وَنخرجُ لِلْأُخْرَى وَلَمَّا نُوَامَرِ

٣٦٤ وَلِكِنَّ رَبَّ الخَلْقِ بَالِغُ أَمْرَكُمْ وَرَغْبَ فِي الطَّاعَاتِ أَهْلَ البَصَائِرِ

٣٦٥ وَأَنْذَرَ إِنْدَارًا وَأَعْذَرَ مِثْلَهَا وَمَكّنَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَالزَّوَاجِرِ

٣٦٦ وبَيَّنَ مَا يَأْتُونَ أَو يَتَّقُونَهُ وَأَنْزَلَ قُرْآنَا لَهُ فِي الرَّوَابِرِ

٣٦٧ وَلَيْسَ لِلرَّحْمَنِ عَلَى الخَلْقِ حُجَّة وَلَا سِيمَا الْمُغتَرَّ مِنْهُمْ أَنَا بَرِ

٣٦٨ وَمَــنْ كَــانَ مُرْجِئًــا وَمُعْتَــزِلاً لــهُ وَآخَــرَ شِــيعِيًّا سِــوَى فِــي التَّغَــارُرِ

٣٦٩ فَلَــمْ بَــيْنَ إِلَّا أَهْــل تَقْــوى تَقِيَّــةٍ وَمَغْفِــرَة مِــنْ وَاسِــعِ العَفْــوِ غَــافِرِ

٣٧٠ وَغَيْــرُهُمْ هَلْكَــى بِقَعْــرِ جَهَــنَّم وَنَــارِ تَلَظَّــى لا تُــدِينُ الفَــوَاجِرِ

٣٧١ لعــل إلــهَ الخلــق يــرحمْ ضُــعفَنَا ويعفــو بخيــرِ العفْــوِ مــن عفــو قــادرِ

٣٧٢ ســأثني علــى ربــي بحســن ثنائــه وأرضــى بــه ربــا فحَسْــبي ونَاصِــرِ

٣٧٣ هــو الله ربُّ الخلــق لا ربَّ غيــرُه هــو الحــيُّ ذو الآلاء أشــكَرُ شــاكرِ

٣٧٤ أعُــدّ سُــراها ثلــث ألــف منيّــرٍ ثــلاث مــائِينَ أو تزيــد كمــا يُــرِ